



١ - العاصفة ..

رجل المستحيل

(أدهم صبرى) .. ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن-١) .. حرف (النون)، يعنى أنه قلة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه، هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص .. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى قاذفة القنابل .. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو .. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لسبب لغات حية، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التفكير و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الغواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعددة . لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سبب (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

فرك الدكتور (محمد العفيفى) ، أستاذ الهندسة النووية بجامعة (الإسكندرية) ، عينيه فى تهالك ، وتثاغب مرهقاً ، وهو يجلس فى حجرة الاجتماعات الخاصة ، داخل المبنى الرئيسى للمخابرات العامة المصرية ، ثم ألقى نظرة على ساعته ، وسأل رجل المخابرات الجالس إلى جواره :

- قل لى يا رجل : أمن المحتتم أن تتعقد كل اجتماعاتكم قبل شروق الشمس ؟!
ارتسمت ابتسامة باهتة على شفתי الرجل ، وهو يجيب :

- أنت تدرك دقة الموقف وصعوبته يا سيدى ، فنحن نسابق الزمن ، لمنع تلك الأفعى من صنع قنابلها الذرية ، وإلا فسيقع العالم كله تحت رحمة شيطانة .

غمغم الدكتور (محمد) :

- تقصد تحت سيطرتها المطلقة .

تتهّد رجل المخابرات ، قائلاً :

- إننا نبذل قصارى جهدنا ، لمتنع حدوث هذا .

نطقها رجل المخابرات ، وذهنه يستعيد تلك الأحداث

القريبة ، التى أدت إلى تلك المغامرة الجديدة ..

لقد بدأ كل شيء بسلسلة من الاختطافات ، قام بها

رجال السنيورا الغامضة ، لعدد من خبراء الطاقة

الذرية فى العالم .. البروفيسير (ميخائيل

استرووتسكى) ، والدكتور (جيمسكار دى مال) ،

والدكتور (دوران جولمى) ..

وبسرعة ، أدرك رجال المخابرات المصرية ، أن

الهدف من كل هذا هو تكوين فريق نووى خاص ،

لحساب السنيورا ، وأنها تعدّ العدة لصنع عدد من

القتابل الذرية ، للسيطرة على العالم ، وإخضاعه

لرغباتها وسطوتها ..

وكان لايد من منعها من بلوغ هذه الغاية المخيفة ..

وبأى ثمن ..

لذا فقد تم إسناد المهمة إلى (أدهم صبرى) على

الفور ، فى نفس اللحظة التى انتهى فيها من مهمة

عنيفة فى (طوكيو) (*) ..

ودون إضاعة لحظة واحدة ، انطلق (أدهم)

و (جيهان) إلى (أمريكا الجنوبية) ، فى محاولة

لمنع السنيورا من الظفر بأخر العلماء ، الذين يحتاج

إليهم فريقها النووى ..

خبير الهندسة النووية الألمانى ، البروفيسير (مارك

مانهايم) ..

وفى نفس اللحظة ، التى وصل فيها (أدهم)

و (جيهان) إلى (ريو دى جانيرو) ، كان رجال

السنيورا يختطفون البروفيسير (مانهايم) بالفعل ..

وقاتل الاثنان فى استماتة ؛ لاستعادة البروفيسير ،

ومنع السنيورا من الظفر به ..

وكان القتال شرساً عنيفاً ..

وقاسياً ..

وعلى الرغم من هذا ، فقد أفلت أحد رجال

السنيورا مع البروفيسير ، وفشل (أدهم) و (جيهان)

فى استعادته ..

(*) راجع قصة (الفريق الأسود) .. المغامرة رقم (١١٢) ..

بل ووقعا في قبضة الشرطة البرازيلية ..

ولم تتوقف الأحداث عند هذه النقطة ..

لقد واصل الاثنان القتال ، ونجحا في الفرار من

الشرطة ، وفي استعادة البروفيسير ..

ولكن هذا لم يكن يعنى أنهما قد ربحا المعركة ..

لقد انطلقت خلفهما كل القوى دفعة واحدة ..

رجال مكافحة الإرهاب في (ريو دي جانيرو) ..

وفريق من أعتى الرجال ، تحت قيادة رجل

المخابرات السوفيتي السابق (يوري أندروفيتش) ،

الذي يحلم بتحطيم (أدهم صبرى) وتدميره ..

وعصابات السنيورا ، التي يقودها رجلها الأول

(لاماس) ..

وحتى قوى الطبيعة ..

« صباح الخير أيها السادة » ..

قطع وصول مدير المخابرات أفكار الجميع

وتكرياتهم ، فنهضوا لاستقباله في احترام ، وأسرع

هو إلى مقعده ، على رأس مائدة الاجتماعات ، وقال

في اهتمام بالغ :

« أخشى أيها السادة أن الأخبار ليست مطمئنة هذه

المرة .

تطلعت إليه العيون كلها في قلق وتساؤل ، فتابع

بسرعة :

« آخر برقية وصلتنا من (ريو) ، تقول : إن

(أدهم) و (جيهان) قد استعدا البروفيسير (مانهام)

بالفعل ..

هتف الدكتور (محمد العفيلى) في لهفة :

« عظيم .. خبر ممتاز .

رمقه مدير المخابرات بنظرة جانبية ، ثم واصل

حديثه ، وكأنه لم يسمع التعليق :

« ولكن (أدهم) حاول الخروج من المدينة ، على

الرغم من استحکامات الأمن حولها ، عن طريق ممر

طبيعى ، يعبر وسط الجبال ، وينتهى بغابات استوائية ،

تقود إلى الطريق الخلفى للعاصمة (برازيليا) ، ولكن

لسوء حظه ، هبت عاصفة عاتية على الساحل

الشرقى للمنطقة ، وصار ذلك الممر أشبه بفخ

طبيعى ، يستحيل تجاوزه دون خسائر جسيمة .

بدا القلق على وجوه الجميع ، وتمتم الدكتور
(محمد العفيفي) :

- يا إلهي !.. لم أكن أتصور أن ..

لم يستطع إتمام عبارته ، فأطبق شفتيه في توتر ،
شاركه إياه أحد رجال المخابرات ، وهو يقول :
- سيدي .. (ن - ١) واجه ظروفًا أكثر صعوبة
في الماضي :

هز المدير رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- فارق كبير بين أن يواجه (أدهم) عصابات
منظمة ، أو أجهزة مخابرات معادية ، أو أن يواجه
الطبيعة ، بكل قوتها وقسوتها وجبروتها .
تبادل الجميع نظرة شديدة القلق والتوتر ، قبل أن
يسأل أحدهم :

- هل تعتقد يا سيدي أن سيادة العميد (أدهم)

يواجه الخطر الآن ؟

أجاب المدير في أسف :

- بالتأكيد .

ثم شبك أصابع كفيه أمام وجهه ، قبل أن يتابع في

حزم :

- الواقع أن الغرض الرئيسي لهذا الاجتماع ، كان
بحث الخيارات المطروحة أمام السنيورا ، بعد أن
استعاد (أدهم) و (جيهان) البروفيسير (ماتهيم) ،
واحتمالات لجولها إلى اختطاف خبير هندسة نووية
آخر ، أما الآن ، وبعد تلك الأنباء الجديدة ، ونشرات
متابعة الطقس ، التي تشير إلى تزايد قوة العاصفة
وعنفها ، فأعتقد أننا نحتاج إلى إعادة دراسة الموقف
كله .

قالها ، دون أن يدري أن (أدهم) و (جيهان) ،
يواجهان في هذه اللحظة بالذات ، ثورة الطبيعة بكل
قوتها ، داخل (كوهيدور بينيجرو) ..
ذلك العمر الجبلي ، الذي بدا لهم أشبه بممر إلى
قلب الخطر ..

أو إلى قلب الجحيم (*) ..

(*) للاطلاع على التفاصيل الكاملة ، راجع الجزء الأول

(رياح الخطر) .. المغامرة رقم (١١٣)

انحنت أشجار النخيل الطويلة ، على شاطئ (ريو
 دى جانيرو) ، أمام الرياح العاصفة ، التى تستزايد
 قوتها على نحو غير معهود ، وخلت شوارع المدينة
 تماماً من المارة ، وتحطمت نصف مصابيحها ، من
 شدة الرياح ، فانتشرت فيها ظلمة مخيفة ، زادت من
 رهبة الموقف وحدته ، ولم تسلم السيارات فى
 الطرقات من الرياح ، التى بلغ من عنفها أن انتزعت
 بعضها من مكانه ، ودفعته حتى منتصف الطريق ، أو
 الجانب الآخر منه ، فى بعض الأحيان ..
 أما سكان المدينة ، فقد قبعوا فى بيوتهم ، وأغلقوا
 النوافذ والأبواب ، وانكمشوا فى حجراتهم ، يرتجفون
 رهبة وذعراً وخوفاً ، خشية أن تتضاعف قوة الرياح ،
 فتهدم بيوتهم على رؤوسهم ..
 ووسط كل هذا ، وقف رجل المخابرات السابق
 (يورى أندروفيتش) خلف زجاج ذلك الفندق الأنيق ،
 المطلّ على المحيط ، يراقب الموقف فى برود مستفز ،
 وعيناه تتألقان فى جذل عجيب ، وكأنما يتابع
 مسرحية هزلية ، وبين أصابعه كأس من (الفودكا) ،

يرتشف منها رشفة وراء أخرى فى ببطء وتلذذ ، مما
 جعل (كواندروس) يسأله فى شىء من الحيرة :
 - قل لى أيها القائد : هل تروق لك العواصف فى
 المعتاد ؟
 رمقه (أندروفيتش) بنظرة جانبية ساخرة ، قبل
 أن يغغم فى اقتضاب بارد :
 - ربما .
 لم يرق الجواب للرجل ، أو يلهم حتى ما يعنيه ،
 لذا فقد اكتفى بهز كتفيه ، وقال :
 - أنا لا أميل إليها قط .
 ثم هز كتفيه الضخمتين مرة أخرى بلا مبرر ، وتابع :
 - هل تعلم أيها القائد ؟ عندما كنا عند ذلك العمر ،
 خشيت أن تطالبنا بمطاردة ذلك الرجل عبره ، أو
 انتظاره خارجه ، مع هذه الرياح المخيفة .
 صمت (أندروفيتش) طويلاً ، وهو يراقب الرياح
 وتأثيراتها ، ثم لم يلبث أن قال بأسلوبه البارد كالثلج :
 - الأحسن وحده من يتصدى لمثل هذه الرياح
 الرهيبة .

وافقه (كوادروس) بإيماءة من رأسه ، وقال في حماس :

- بالتأكيد أيها القائد .. بالتأكيد .

ثم خيل إليه أنه قد فهم ما يرمى إليه الروسي ، فأطلق ضحكة عالية ، وتابع ملوحًا بذراعيه في حركة سخيفة :

- وهذا يعني أن صاحبنا هو أكثر أهل الأرض حماقة ، لأنه الآن في قلب الممر ، و ...

قبل أن يتم عبارته ، فوجئ بالروسي يلتفت إليه في حركة حادة غاضبة صارمة ، ويرمقه بنظرة نارية ، وهو يقول :

- إياك أن تصف (أدهم صبرى) بالحماقة :

تراجع (كوادروس) في دهشة بالغة ، وغمغم :

- عجباً ! أليس خصمنا أيها القائد ؟!

قال الروسي في صرامة مخيفة :

- الحماقة الحقيقية هي أن تتهم شخصاً بالحماقة ، لمجرد أنه خصم لك .. صحيح أن (أدهم صبرى) خصمنا ، ولكن أحداً في الكون كله ، لا يمكن أن يتهمه بالحماقة أو الغفلة .. إنك لا تعرف من هو

(أدهم صبرى) .. إنه واحد من أخطر رجال المخابرات في العالم .. بل هو أخطرهم على الإطلاق :

اتسعت عيننا (كوادروس) في دهشة لا محدودة ، وهو يحدق في وجه (أندروفيتش) ، ثم لم يلبث أن ابتسم في توكر وارتباك ، وهو يتمتم حائراً :

- سنيور (أندروفيتش) .. إنك تتحدث عنه كما لو

أنك .. أعني أن أسلوبك يوحي بـ .. احم .. الواقع أن ...

قاطعته الروسي في حسم :

- إنني شديد الإعجاب به .. أليس كذلك ؟!

ارتبك (كوادروس) أكثر وأكثر ، وهو يتمتم :

- ليس هذا ما قصدته بالضبط ، وإنما .. احم ..

أعني أن ...

عاد الروسي يقاطعه ، وهو يرتشف رشفة من كأسه ، قائلاً :

- كل رجل مخابرات في العالم شديد الإعجاب

بـ (أدهم صبرى) .. إنه المثل الأعلى للجميع ..

الأسطورة ، التي لم نصدق وجودها في البداية ، ثم

انبهرنا كلنا بها فيما بعد .. المثل الأعلى لكل رجل

مخابرات .. كل جهاز مخابرات في العالم تمنى لو أنه
أحد أفراد .. ولأن هذا مجرد حلم زائف ، ولأن
الرجل لا ولن يدين بالولاء إلا لوطنه فقط ، كان من
المحتم أن نسعى جميعاً للقضاء عليه وتدميره ، على
الرغم من إعجابنا به ، وإبهارنا بقدراته المدهشة ،
باعتباره رمزاً لتفوق جهاز مخابرات عدو .

وارتشف رشفة من كأسه ، قبل أن يلتفت إلى
(كوادروس) ، مضيقاً في صرامة :

- هل فهمت ؟

كان الجواب واضحاً في ارتباك (كوادروس) ،
وخبرته الواضحة ، المعلقة من عينيه ، إلا أنه ،
وعلى الرغم من هذا ، أجاب في حماس مصطنع :

- بالطبع أيها القائد .. بالطبع .

ارتسمت ابتسامة ساخرة سريعة على شفتي
(أندروفيتش) ، قبل أن يعود للتطلع عبر النافذة ،
ويقول :

- أجز اتصالك من الآن ؛ لتجهيز هليوكوبتر
كبيرة ، يمكن أن تسعنا جميعاً .

ردد (كوادروس) :

- هليوكوبتر كبيرة ؟

أجابه الروسي في سرعة وحزم :

- نعم يا رجل .. هليوكوبتر كبيرة ، تكفى لحملنا
جميعاً ، إلى ما خلف خطوط العدو .

وابتسم ابتسامة باهتة ، وكأنما راقب له عبارته ،
إلا أن هذه الابتسامة لم تحتل البقاء على شفتيه
الباردين طويلاً ، فانهارت فوقهما ، وهو يتابع
مستعيداً صرامته :

- لقد ارتكب (أدهم صبرى) أكبر خطأ في حياته
العملية كلها ، عندما اقتحم ممر الخطر ، دون أن
يتابع النشرة الجوية جيداً .

واتخذ حاجباه في شدة ، وهو يضيق :

- وأنا أنوى استغلال ذلك الخطأ ، بأقصى ما يمكنني
من الإفادة والنجاح ، وإذا ما نجح هو في الخروج من
(كوهيدور بيليجرو) حياً ، فسوف يجدنا في انتظاره .
وارتشف الرشفة الأخيرة من كأسه ، قبل أن يقول :

- وسأبذل قصارى جهدي ؛ ليكون هو آخر

ما يراه ، في حياته كلها .

نطق عبارته الأخيرة هذه بلهجته الباردة كالثلج ،

على الرغم من أن عينيه كانتا تتألقان بضحكة واسعة
كبيرة ..

ضحكة تحمل كل الحسم ..

وكل الثقة ..

★ ★ ★

عندما اتهار زجاج السيارة الأمامي ، في قلب ممر
(بيليجرو) ، بتأثير مزدوج من إصابته المباشرة ،
مع انقلاب السيارة ، وقوة الرياح المخيفة ، التي
بلغت سرعتها ألف كيلومتر في الساعة ، كان (أدهم
صبري) في حالة سيلة للغاية ...

جراح صدره وفخذه تنزف بشدة ، والرؤية أمامه
مشوشة مهتزة ، من فرط التعب والإجهاد ، كما أن
غيوبة عنيدة تهاجمه في إلحاح ، وتكاد تفقده الوعي ،
و ..

ولكن هذا الرجل عجيب بحق ..

بل هو مدهش إلى حد الإبهار ..

فعلى الرغم من كل هذا ، ومن صعوبة الموقف
ودقته ، والرمال التي ارتطمت بجسده ، بتلك السرعة
الخرافية المخيفة ، دب في جسده نشاط مبالغت ،

وتحرك جسده كله بسرعة مذهلة ، وعلى نحو لم
يشهده ممر الخطر ، طوال عمره الطويل ، الذي
يتجاوز الألف عام ببضعة أشهر ..

لقد دار حول نفسه ؛ ليواجه الرمال العنيفة وشظايا
الزجاج المتطاير بظهره ، وليحمي (جيهان)
والبروفيسير (مانهام) بجسده ، وعقله يدرس كل
ما حوله بسرعة البرق ، ويبحث عن حل للموقف
العسير ، وأطرافه تتحرك بسرعة مذهلة ، لتضع ذلك
الحل موضع التنفيذ ..

وبكل ذعرها وعصبيتها ، هتفت (جيهان) ،
عندما دفع رأسها إلى أسفل :

- ماذا ستفعل ؟!

لم يجب سؤالها ، أو يبدى أدنى اهتمام بإجابته ،
وهو يميل بجسده عبر المقعد الخلفي ، ليجذب مسنده
الرأسى في قوة ، والبروفيسير (مانهام) أسفلته
يصرخ :

- لا .. لا أريد أن أموت .. لا أريد أن أموت ..

كان المسند الرأسى للمقعد الخلفي صالحاً للانطواء ،
شأن كل السيارات الكبيرة من هذا الطراز ، لإضافة

مساحة زائدة للحقيبة الخلفية ؛ لذا فقد طواه (أدهم) ،
وهو يصيح في صرامة ، والرمال الحادة تضرب
ظهره ، بتلك السرعة الخرافية ، وتمزق ثيابه وجلده
بلا رحمة :

- انتقلا إلى حقيبة السيارة .

فهمت (جيهان) على الفور ما يقصده ، فجذبت
البروفيسير المنكمش في أرضية السيارة ، ودفعته
داخل الحقيبة الخلفية لها ، وهي تهتف في عصبية :
- هيا أيها العالم الفذ .. فلنؤجل الارتجاف إلى وقت
آخر .

صرخ البروفيسير في ألم ، وهي تدفعه داخل
الحقيبة في قسوة ، ولكنها وثبت خلفه ، وهتفت :
- هيا يا (أدهم) .. أسرع .

دفع (أدهم) جسده ، بكل ما تبقى له من قوة ،
ليحشر نفسه معها ، داخل حقيبة السيارة الكبيرة ، ثم
حمى وجهه بذراعه اليسرى ، وهو يجذب المسند الرأسى
للمقعد الخلفى ، معيدا إياه إلى موضعه الأول ..

وأخيرا ، أصبح الثلاثة داخل مكان مغلق ، لا تصل
إليه الرياح المخيفة ، أو الرمال الحادة الرقيقة ، التى



فهمت (جيهان) على الفور ما يقصده ، فجذبت البروفيسير
في أرضية السيارة ، ودفعته داخل الحقيبة لها ..

تحترق الاجساد كثف ألف رصاصة دقيقة .

وفي انبهار ، هتف البروفيسير :

- رياه ' لقد أنقذتنا يا رجل . أنقذت حياتك في
حس ثون فحسب ' ' اي رجل انت ' يا إلهي '
لولا ان رايت ما حدث بنفسى . لم صدقت لعدة
واحدة منه ، و

قطعه شهقة قوية متدعة من (حيهان) . وهي
تميل جسده في حركة حادة ، لتحضر رأس (ادهم) .
هاتفه :

- ريه : (ادهم) أحب يا (ادهم) أجب
أرجوك

وكن من العسير ان تتقى منه جوابا . فى تلك
ال لحظة

لقد انبهار جسده المثخن بمنات الحراح الصغيرة
الدقيقة ..

انبهار تعامًا ..

* * *

على عكس العائمين (جونهى) و (دى مان) .
استغرق (ميخائيل استرووتسكى) فى نوم عميق .

منذ اوى الى فراشه . فى اول الليل

كن مجهذا بحق ، لانه لم يذق طعم النوم منذ
يومين كمينين ، عسى فبهما من التعب والانفعال . كما
لم يعان فى حياته كلها من قبل

ونكن حتى النوم لم يمنحه الهدوء الذى ينشده
لقد انطلق عقله يستعيد ذكريات عديدة . ويسترجع
العشرات والعشرات من المعلومات والمعادلات .
وانظريته . وحتى اسماء الأصدقاء القدامى . وزملاء
الدراسة ، والعمل ، والعلم ، و ...

وفجأة . توقفت أحلامه كلها عند رجل واحد
رجل ظهر فى حلمه كمقاتل خرافى . يبرز من قلب
مفاعل نووى كبير . حاملا سلاحا ضخما . تنطلق منه
زوابع وأعاصير وعواصف ..

ثم فجأة . تجرد الرجل من سلاحه . وعاد يسقط
فى قلب المفاعل النووى . وهو يقتل بذراعيه وساقيه
فى الهواء . وكأنه يحور التشبث بأى شيء .
وصاح وهو يشير بيده :

- لا تتركنى يا (استرووتسكى) لا تتركنى
خلفك .

انتفص جسد (استروتيسكى) ، وهتف :

- وماذا يمكننى أن أفعل ؟ ما الذى

وتوقفت العبرة فى حلقه فى أثناء الحلم .

بل توقف الحلم كنه دفعة واحدة .

واستيقظ البروفيسير (استروتيسكى)

استيقظ بحركة حادة ، وهب جالسا على طرف

فراشه ، وهو يهتف :

- يا للشيطان ! كيف لم أذكره ؟

وسرعة مذهشة ، انقض على ثيابه ، يرتديها

على عجل ، ودق باب حجرته ، هاتف فى افعال .

- السنيورا اريد مقابلة السيورا اريد

مقابلة على الفور . أخبروها أن ما لدى يهما .

يها بشدة .

ولقد انعقد حجابا السنيورا الجميلين بشدة ، عندما

بلغت رسالته ، واسارت إلى حاملها بيدها ، قلعة فى

حزم

- فيمكن احضروه لمقابلتي على الفور

انصرف رجلها لتنفيذ الأمر ، فى حين نهضت هى

تسرع سيجارتها فى توتر ، وهى تغتمغ نفسها :

- ترى ماذا يريد هذا الرجل ؟ من المؤكد أن

عالمًا مثله لن يظن مقبلي بهذه النبهة ، فى هذه

الساعة المتأخرة ، إلا لأن لديه ما يستحق هذا

ومن يدري ؟ ربما كان لديه ما يقلب الأمور كلها

رأسًا على عقب ! من يدري !

ظلمت على توترها وعصيتها ، حتى دلف

البروفيسير (استروتيسكى) إلى حجرتها ، وقال

متوترًا :

- مساء الخير يا سنيورا . معذرة لأ-

قطعت فى عصبية :

- هات مالدك يا رجل .. لمست أحب المقدمات

الطويلة .

أزدد (استروتيسكى) لعبه فى صعوبة ،

وغمغم :

- بالتأكيد يا سنيورا .. بالتأكيد

ثم استعاد حماسه وانفعاله بغثة ، وهو يتابع :

- هل تذكرين حديثنا السابق ، حول إيجاد بديل

للبروفيسير (ماتهايم) ؟

جذبت هذه المقدمة انتباهها بشدة ، فقالت بسرعة .

بولاسكى (هذا قد مات بسكته قلبية فى الـ

قاطعها فى لهفة :

- خدعة .. مجرد خدعة .

حدقت فى وجهه بدهشة بالغة ، وهى تقول فى

الفعال :

- اتعنى أنه . أنه على قيد الحياة ١٧

أوما برأسه إيجاباً ، وعاد يمين نحوها ، قائلاً :

- الرجل معتقل فى (سيبيريا) ، منذ أكثر من

ثلاثة أعوام ؛ لأنه هاجم وبغف ، عملية حل الاتحاد

السوفيتى السابق ، وتفقيته عملياً وعسكرياً ، واتهم

المسؤولين عن هذا بالحيانة ، وبأنهم عملاء للنظم

الأمريكى .

عاد عيناها تتلقتن بشدة ، وهى تتراجع فى مقعدها ،

قائلة :

- يا للشيطان ! إذن فاستعدادتنا للبروفيسير

(بولاسكى) من (سيبيريا) ، تعنى أننا نستطيع

البدء فى إنتاج قذابلنا الذرية ، دون الحاجة إلى

البروفيسير (مانهام) ؟

أشار (استروتيسكى) بقبضته ، هاتف فى حماس .

- بالتأكيد .

تضاعف حماسه ، حتى إنه راح ينوح بذراعيه معاً ،

قائلاً :

- انيابة ، ومنذ دقائق معدودة ، تذكرت أمرامهما ،

لست أدري كيف غاب عن ذهنى .

سألته فى عصبية ولهفة :

- وما هو ؟

ماز نحوها ، مجيباً فى الفعل جرف .

- البروفيسير (بولاسكى) .

تراجعت ، قائلة فى توتر :

- من ؟

أجاب فى حماس :

- البروفيسير الوندى (ديوك بولاسكى)

استاذ الهندسة النووية السابق ، فى جامعة (موسكو)

إنه أحد عباقرة الهندسة النووية ، وواحد من أندر

خبراء بناء وتشغيل المفاعلات الذرية التقيدية

تلتفت عيناها فى لهفة ، وهى تهتف ، وكثرتها

تنفض عليه :

- ولكن المعلومات الرسمية تؤكد أن البروفيسير

- بالضبط .

ثم استدرك في شيء من القلق :

- ولكن استعادة معتقل من (سيبيريا) ليس بالأمر

السهر

انطلقت من أعماقها ضحكة عالية . مفعمة

بالأفعال ، قبل أن تقول :

- اطمئن يا عزيزي (استرووتيسكي) . إن

منظمتنا أقوى مما تتصور أقوى بكثير

وعادت تطلق ضحكاتها المنفعنة ، التي حملت هذه
المرّة الكثير من الارتياح ، مع لمحة من الظفر

والزهر ..

لقد قلب (استرووتيسكي) الأمور بفعل .

قلبها رأساً على عقب ..

وبمقنتي الخطورة .

* * *

٢ - انشطار ..

صمت المفتش (باترياس) طويلاً في تلك الليلة ،

وهو يجلس أمام جهاز الكمبيوتر الخاص به . في

مكتبه الخاص ، في إدارة الشرطة ، والتهب عقله

بعضرات الأفكار والتساؤلات ، على نحو انغمست فيه

مشاعره تماماً ، فلم تعد تبالى بالعاصفة الهوجاء ،

التي تضرب مدينته بعنف وقسوة . لم يعهدهما

الأهالي المذعورون ، في حياتهم كلها .

وراح قلبه يخفق في قوة أكثر وأكثر ، مع كل

خطوة يقطعها ..

لقد كان على حق في مخاوفه الأولى .

الأمر ليس أبداً بذلك الوضوح ، الذي يبدو عليه .

كل الشهود أجمعوا على أن مرتكب الحادث رجلان

غنيظان ، لقي أحدهما مصرعه في مطار (باخوس) ،

واختفى الثاني مع السائح الألماني ..

أما ذلك الومس وزمينة ، فمن المؤكد أن لهما

هدفاً آخر ، لا يرتبط بعملية اختطاف السائح ،

وانتم يعترض طريقها على نحو ما

ربما كمحاولة إتقاذ ..

أو قتل .

ولكن لماذا ؟

لماذا ؟

كم المعلومات تؤكد أن ذلك الذى تم اختطافه ،
والذى اتدعت من أجله هذه الحرب الشعواء ، ليس
أحد مليونيرات البترول ، أو كبار رجال المال
والأعمال ، أو حتى تجار المخدرات ..

إنه أحد علماء الطاقة الذرية فحسب .

وهؤلاء يحصون بالآلاف فى هذا العصر .

وربما أكثر ..

الكل يدرس الطاقة الذرية فى هذا الزمن ، على

نحو أو آخر ..

فلماذا الصراع على رجل واحد ؟

لماذا ؟

توقفت شبكة معلوماته عند هذا الحد ، ولم يستطع
التوغل فيها أكثر وأكثر ، و ..

« لدينا ثلاثة بلاغات جديدة ، بشأن تهيار المنازل ،

فى الحى القديم .. »

اتزعته عبارة زمينه من أعماق افكاره ، فانتفض
جسده انتفاضة مكتومة ، وهو ينتفت إليه ، قائلاً فى
شئ من العصبية :

- ثلاثة ؟!

لم ينتبه زمينه إلى توتره ، فجذب مقعدله ، وألقى
جسده المرهق فوقه ، وهو يومن برأسه إيجاباً ،
ويتهجد ، قائلاً :

- نعم .. ثلاثة .. أنت تعرف تلك العنازل القديمة .

ثم إننا لم نشهد عاصفة كهذه فى حياتنا قط ، و

انتبه فجأة إلى شرود ذهن (باترياس) ، فبتر
عبارته ، وتطنّع إليه لحظة فى حيرة ، قبل أن يميل
نحوه ، ويسأله فى قلق :

- ماذا بك ؟! لست أظنها العاصفة

تطنّع إليه (باترياس) لحظة بنفس الشرود ، ثم
لم يلبث أن لوّح بكفه ، قائلاً :

- قل لى يا رجل . هل سبق لك أن رأيت ذلك
الوسيم ؟

حدق زميله فى وجهه بدهشة ، مردداً :

- الوسيم ؟! أى وسيم ؟!

بدا الاهتمام الشديد على وجه المفتش ، وهو يسبح
بشبابته ، قائلا في اهتمام بالغ :

- ذلك الرجل ، الذي قلب الدنيا كلها رأسا على
عقب مع زميلته ، والذي خرج وحده ، في قلب
العصفه ، ليتحدى (كوهيدور بينيجرو)

ارتفع حجباً زميله بشدة ، وهو يقول :

- اد اد . ماذا تقصد بمؤالك عما إذا كنت قد
رأيت من قبل ؟

مال (باتدريس) نحوه ، وقال في انفعال :

- أن واثق من أنني قد رأيت من قبل في مكان ما .
نشرة حمانية جريدة برنامج تليفزيوني ، أو .

تألفت عيناها بفتة ، وشمله انفعال جارف مفاجئ ،

وهو يقلز من مقعده ، هائفاً :

- يا إلهي !.. لقد تنكرت ..

واندفع نحو الكمبيوتر في حماس شديد ، متبهاً :

- هل تذكر تلك المعارك العنيفة في الولايات
المتحدة الأمريكية ، التي هزت المنطقة كلها ؟

سأله زميله في لهفة :

- أية معارك ؟

أجابه بنفس الحماس ، واصابعه تجري على أزرار
الكمبيوتر في سرعة :

- تلك المعارك عند المستشفى المركزي في
(نيويورك) (*) . هل تذكرها ؟ لقد ادعى

الأمريكيون أن بطنها رجل مخابرات أمريكي ، يدعى
(تيم بارتون) ، ولكن هيئة (تيم بارتون) هذه بدت

في حينذاك مأثوفة ، وأذكر أنني بحثت عن أية
معلومات حوله ، فتوصلت عندئذ إلى حقيقة مذهلة

وازدادت عيناها تألفاً ، وهو ينهي ضرباته على

الأزرار ، متبهاً :

١- إن اسمه الحقيقي ليس (تيم بارتون) بل

وإنه ليس أمريكياً على الإطلاق

ومع ضربته الأخيرة ، ظهرت على شاشة

الكمبيوتر صورة واضحة ، راحت تتكون في سرعة ،

مع أسطر لا نهائية من المعلومات

وفي ذهول كامل ، راح رميل (باتدريس)

يتابع المعلومات الفزيرة على شاشة الكمبيوتر ،

(*) راجع قصة (الأفعى) المدمرة رقم (١٠٦)

و (باندرياس) نفسه يتمم مبهوراً :

- هل رأيت ؟!

كان هذا آخر ما تبادلاه من حديث ، خلال الدقائق العشر التالية ، التي راح الكمبيوتر يفرغ خلالها كل ما لديه عن (أدهم صبرى) ، وهما يتابعته بانهيار تجاوز كل الحدود ..

انهيار اتساهما العصفرة العتية في الخارج هذا لأنه في أعماقهما كان هناك إعصار (*) أكثر قوة و عنفاً ، يضرب مشاعرهما بلا رحمة إعصار يحمل اسم (أدهم) ..
(أدهم صبرى) ..

تزايدت قوة الرياح ، حتى بلغت حدها الأقصى ، في ذلك الممر الرهيب ، عند حدود (ريودي جاتيرو) الجبلية ، وراحت السيارة المقنوية ترتج في عصف ،

(*) الإعصار منطلق من الضغط الجوي المنخفض ، يدور الهواء من حولها حلزانياً ضد عقارب الساعة في نصف الكرة الشمالي ، ومع عقارب الساعة في نصف الكرة الجنوبي ، ومن أشهر وأعنف أنواعه إعصار (توريادو) ، وإعصار (هاريكين)

وكان الريح تسعى لانتزاعها من مكانها ، ودفعها الى الحنف في قوة ؛ لتتخضم على الجدار الصحري الهائل ، في حين انطلق مع سرعتها صوت مخيف رهيب ، أشبه بفحيح ألف أفعى سامة قسنة .

وفي زعر لا حدود له ، انكمش البروفيسير (متهيم) داخل حقيبة السيارة المفقعة ، وهو يبكي قائلاً :

- ن ن نجو من هذا أبداً السيارة لن تحمل طويلاً سينتهي كل شيء مع أول انهيار جديد سننقى مصرعنا جميعاً ، دون أن يشعر بنا أحد ستسحقنا الـ ...

قاطعه (جيهان) في حدة :

- كفى يا رجل لم أعد أهتم نحيبك المستمر هذا . توقف بالله عليك ، قبل أن تصيبنى بانهيار عصبي .

أطلق البروفيسير ضحكة هستيرية ساخرة ، قبل أن يهتف :

- انهيار عصبي !! بالسخافة ! هذا أفضل ما يمكن أن يصاب به المرء ، في ظروف كهذه أيتها

المتحذقة . إن نواجه ألف طريقة وطريقة نلصق
إلا تتعيرين أنك تبذنين جهدا إضافيا . لتتفسي على
نحو طبيعي " ألم يخطر ببالك أن تلك الرياح العنيفة ،
بكر ما تحملها من رمال وحصى وغبار ، ستجعل
التنفس أكثر صعوبة ، في كل دقيقة تمضي ، حتى أننا
قد نحترق داخل هذه الحقيقة الضيقة ، التي تتصورين
أنك نحتمى بها هذا لو استبعدت احتمال انهيار جسم
السيارة . انذري أمثلا بالفعل بالتقوب والشفوق ، أو
حدوث انهيار صخري آخر ، بسحق تحتها سحقاً ، أو

قاطعة في حدة :

- كفى .. كفى بالله عليك .

عدد يطلق ضحكاته الهستيرية ، متابعاً

- أحشين مجرد الاستماع ؟! ماذا عن الفعل

إذن " ماذا عن قوتك في مواجهة تلك المواقف ، لو

تعرضنا إليها بالفعل ، وماذا لو

انزعجت المسدس من (أدهم) في حركة سريعة ،

ودفعت فوهته الباردة في عنق البروفيسير ، وهي

تقاطعه ، قائلة في صرامة :

- قلت كفى ؟!

اتسعت عينا البروفيسير في ارتعاع ، وهو يقول .

- هل .. هل قرأت التخلص مني ؟!

أجابته في حدة :

- لو أردت لفعلت منذ البداية يا رجل ألم يهدك

عقبت العبقري إلى الحقيقة قط " ألم تدرك أبدا أن كل

ما نسعى إليه ، وما تعرضت له من مخاطر ، كان

لإنقاذك فحسب ؟!

اتسعت عين الرجل في ذعر ، وهو يسأل :

- إنقاذي من ماذا ؟!

صاحت به في غضب :

- من أولئك الأوغاد ، الذين به ...

قبل أن تتم عبارتها ، ارتج المكان كله بدوى هائل

دوى اتسعت له عينا البروفيسير (ماتهيم) ، في

رعب بلا حدود ، وغابت معه الدماء عن وجهه

تماماً ، وهو ينكمش ، مغمفا بصوت يرتجف كبريشة

في مهب الريح :

- الانهيار الصخري .

اتسعت عينا (جيهان) في رعب هائل ، وشهقت

- رباه ! (أدهم) . الانهيار يا (أدهم)

وحدقت مذعورة في وجه (أدهم) الفقد الوعي ،
ودوى الصخور الضخمة المتساقطة يرتفع .

ويرتفع ..

ويرتفع ..

★ ★ ★

« لم أر في حياتي كنه عاصفة بهذا العنف . »
غمغم (كوادروس) بالعبارة ، في صوت أشبه
بالزمجرة ، وهو يتطلع - عبر النافذة - إلى أشجار
التخيل الطويلة ، التي انحنت حتى كادت قممها تلامس
الأرض ، مع قوة العاصفة ، ثم تنهد في توتر ، قبل أن
يلتفت إلى (أندروفيتش) ، متابعاً
- تبدو وكأنها لن تنتهي أبداً .

مط (أندروفيتش) شفّيته ، وتمتم في برود
كالثلج :

- لكل شيء نهاية ؟

هزّ (كوادروس) كتفيه ، وقال :

- بالتأكيد .

ثم ألقي جسده فوق الأريكة الواسعة ، مستطرداً :

- حتى مهمتنا هذه ستنتهي ، مع نهاية العاصفة

مط (أندروفيتش) شفّيته ثانية ، ورمقه بنظرة
جانبية صارمة ، قبل أن يقول :

- بل متبداً أيها الغبي

وصب لنفسه قليلاً من الفودكا ، متابعاً

- وبلمناسبة ! ماذا فعلت بشأن الهنيوكوبتر ؟

أشار بيده ، قائلاً :

- سيتم تجهيزها ، فور انتهاء العاصفة ، وسـ

قاطعه الروسي في صرامة :

- خطأ

بدت الدهشة على وجه (كوادروس) ، وهو يعتدل

مغمغماً :

- خطأ ؟

اجابه الروسي في صرامة أكثر :

- الهنيوكوبتر لابد أن تكون مستعدة للإقلاع ، فور

انخفاض حدة العاصفة ..

تضاعفت دهشة (كوادروس) ، وهو يقول

معرضاً :

- ولكن أيها القائد ..

واصل (أندروفيتش) حديث ، وكأنه لم يسمعه

- فنوظر (ادهم صبرى) على قيد الحياة ، بعد
انتهاء العصفه ، فمن المحتمل أن يجذب أمامه ، قيس
حتى أن يسترد أنفاسه .

التقى حاجب (كواروس) ، وهو يغمغم -
- ولكن من الانتخري ، الذى يمكن أن يفائر
منزله ، فى هذا الجحيم ؟

أجابه الروسى :
- ادفع أى مبلغ يطلبه أصحاب الهلوكوتر ، بالإضافة
إلى ثمن المعدات مضاعفاً .
عدت الدهشة الى وجه (كواروس) ، وهو
يقول :

- أبة معدات ؟
مال (اندروفيتش) الى الأمام ، مجيب فى لهجة
جذبت دماء (كواروس) تتحول داخل عروقه إلى
جليد :

- المدافع الآلية .
اتسعت عينا الرجل ، فتراجع الروسى فى هدوء ،
مكملاً :
- المعدات التى ستسبب لخطر رجل مخبرات فى العالم .

قته ، واسبل جنبيه فى هدوء عجيب
هدوء أشبه بذلك الذى يسبق العواصف
أعنف العواصف ..

« رباه ! » (ادهم) الانهيار يا (ادهم) «
هتفت (جيهان) بالعبارة فى ذعر ، وهى تحديق
فى وجه (ادهم) الفاقد للوعى ، ودوى الصخور
الضخمة المتساقطة يرتفع ، ويرتفع
واخترق الهتاف أذن (ادهم) وانطلق منها إلى
عقله بسرعة مذهشة ، وعبر خلايا مخه الرمادية ،
و

وأيقظه ..
لا أحد يدري كيف حدث هذا ..
ولا حتى القاعدة العنمية ، التى يستند إليها حدوثه
لقد كان عقل رجل المستحيل غارقاً فى غيبوبة
عميقة ، وعلى الرغم من هذا فقد وجدت العبارة مكاناً
لتستفز منه نشاطه كنه .

ربما لأن المخ - أى مخ - لا ينام كنه قط
جزء منه فحسب يستغرق فى النوم ، أو حتى فى

الحيوية ، مهما بلغ عمقها ، في حين يظل الجزء
الأعظم منه متأهيا متيقظا ، على الأقل لتشغيل أجهزة
الجسم الحيوية المختلفة ، التي يؤدي توقفها لدقائق
معدودة إلى موت لا رجعة منه ..

المهم أن عقل (أدهم) ، وبدون الدخول في
تفاصيل معقدة ، قد استيقظ بفترة مع هتاف (جيهان)
واستوعب العبارة كلها ..

وسمع دوى الصخور المنهارة ، في نفس اللحظة
التي ارتطمت فيها بأرضية المعمر ، الذي ارتج في
عنف رهيب ، وبصوت هائل ، ضاع مع صرخات
(جيهان) ، والبروفيسير (مانهام)

ومع صرخاتهما ، ودون سابق إنذار ، هب (أدهم)
من غيبوبته ، ودفع (جيهان) جانبيا ، وهو يهتف :
- احترسي .

هو نفسه لم يدرك لماذا دفعها إلى هذا الاتجاه
بالذات !!

أو حتى لماذا دفعها من الأساس !!
ولكن المدهش أن تلك الدفعة جاءت في موعدها
بالضبط ، وإلى الاتجاه المناسب بمنتهى الدقة .

فقد تساقطت الصخور الضخمة على قيد خمسة
عشر مترا بحسب من السيارة ، وراحت ترتطم
بالأرض ، وتتقاذف فوقها ، كما لو كانت كرات مطاطية
ضخمة ، أو تتدحرج فوقها في عصف مخيف

ثم سقطت صخرة كبيرة ، في ضعف حجم السيارة
تقريب . وارتطمت بالأرض في قوة ، ثم قفزت قفزة
عجيبة ، على الرغم من ضخمتها ، لتهوى فوق
السيارة مباشرة ..

وفي نفس اللحظة التي دفع فيها (أدهم) (جيهان)
جانب . هوت الصخرة لتسحق الجزء الأعظم من
السيارة سحقاً ..

واتسعت عين البروفيسير (مانهام) ، في مزيج
من الذهول والارتياح ، وهو يحذق في الصخرة
الضخمة ، التي انحطت رأسه بسنتيمترات قليلة ،
ويردّد :

- رباه ! . كانت ستسحق رأسي . كانت ستقتلني
أما (جيهان) ، فقد حذقت في وجه (أدهم)
لحظة في ذهول ، قبل أن تهتف :
- كيف فعلتها !؟

ارتسمت على شفتيه ابتسامة باهتة . وهو يجيب .
 - وما رميت إذ رميت . ولكن الله رمى (*)
 التهمة بصورها في ذهول مهوور ، قبل أن تمسح
 العرق الغزير على جبينه ، وتكرّر في حنان بانغ
 - لقد فعلتها .

كان من الواضح أن تلك الحركة المباشرة قد
 استهدت الكثير من قواه ، إذ بدت لها ابتسامته ساحبة
 واهنة . وهو مستسلم تمام لأصابعها . التي تمسح
 عرقه ، وتتجلى شعره الأسود الفاحم ، فغمغت .

- (أدهم) .. أنت بخير ؟
 صاح البروفيسير (ماتهيم) في عصبية شديدة
 - ليس هذا وقت المشاعر والعواطف . إننا نموت
 هذا الانهيار الصخري كاد يسحقنا .

أدار (أدهم) عينيه إليه ، قائلاً في حزم ،
 لا يتناسب قط مع حالته :

- ولكنه لم يفعل .

صاح البروفيسير :

(*) الآية (١١) من سورة الأنفال . سمى الله الرحمن الرحيم
 وما رميت إذ رميت . ولكن الله رمى . صدق الله العظيم

- ولكن وجود هذه الصخور الضخمة إلى جوارنا
 يهدّد وجودنا .

اعتدل (أدهم) قليلاً ، وهو يقول :

- على العكس يبروفيسير . وجود هذه الصخور
 الضخمة هو الذي يضمن لنا البقاء
 سألته في دهشة :

- كيف ؟

أشار (أدهم) بيده ، قائلاً :

- الانهيار الصخري خلفنا منيع من العودة إلى
 المدينة ، وتسبب في تدمير سيارتنا . أما هذا الانهيار
 أمامنا ، فقد صنع حاجزاً صخرياً ، يقينا أثر الريح
 المدمرة .

ثم اتحنى ليدفع باب حقيبة السيارة إلى الخارج ،
 مستطرداً :

- وهذا يعني أننا لم نعد مضطرين للاحتشار داخل
 هذه الحقيبة الضيقة .

ارتسمت ابتسامة حانية على شفتي (جيهان) ،
 عندما وثب خارج الحقيبة بخفة مذهشة ، كما لو أنه
 قد استعاد نشاطه كله دفعة واحدة ، في حين تدنى

نفس السفسى لثروفيسير ، قبل أن يقول في عصبية .

- أنت واثق مما تقول يا رجل ؟!

فرد (أدهم) ذراعيه عن آخرهما ، وهو يقول

- مارأيك أنت يا بروفيسير ؟ "هاتذا خارج

السيارة . هل ترى الرياح وهي تضربني بالجدران ؟"

اتخذ صاحب البروفيسير في توتر ، في حين قفرت

(جبهان) بدورها خارج السيارة ، وتفتت حولها

شيء من الحذر ، قبل أن يبدو عليها الابتهاج ، وهي

تقول :

- أنت على حق يا (أدهم) مازالت هناك رياح ،

مع بعض الرمال والغبار ، إلا أنها محتملة للغاية ،

وليس قاتلة كالأخرى .

أشار (أدهم) بيده قائلاً :

- هذا امر طبيعي ، فنحن الآن داخل جيب هوائي ،

محصور بين الانهيارين الصخريين ، وسنقل سرعة

الرياح داخله ، وتفقد أكثر من سبعين في المائة من

قوتها . ولو أننا انتقلنا إلى جوار الصحور الامامية ،

سيقلشي تأثير الرياح تقريباً .

غادر البروفيسير حقبة السيارة بدوره ، وهو يغمغم



ثم انحنى سدع باب حقبة السيارة إلى الخارج

- اذن فندرك خنفيات علمية أيضا يا رجل القتل .

ابتسم (أدهم) ، وقال مشيرا إلى رأسه .

- العلم والقوة صنوان لا يفترقان يا بروفيسير ،
بانتسبة نكل مقاتل نجح ، ونحن على مشارف القرن
الحادي والعشرين .

مطأ البروفيسير شفيته ، ونوح بذراعه امام وجهه ،
لإبعاد الرمال والغبار ، قبل ان يقول في عصبية :

- وفيلسوف يضرب قل لي يا رجل . أليس أشبه
بأحدى شخصيات الروايات المصورة ، مث بيبتر حتى
حقيقى ١٩

هر (أدهم) كفيه ، وابتسم ، قائلا :

- الناس لا يمكنهم استيعاب كل ما يفوق قدراتهم
الطبيعية البسيطة يا بروفيسير ، ويصعب عليهم
تصديق وجود ما لا يتفق مع حياتهم اليومية المعتادة ،
أو يتجاوز إدراكهم لحقائق الأمور

أشر البروفيسير بيده ، وهو يسرع نحو الصخور
الأمامية ، هاتفا :

- فليكن يا رجل . فليكن . إننى لا أهتم تلك
المناقشات الفلسفية قط .

ابتسمت (جيهان) ، والتفتت إلى (أدهم) ، قللة :

- (أدهم) جسدت مثخن بالجراح ، ومن الواضح

أنت تحتاج إلى الكثير من الراحة ، على الرغم مما
تبديه من قوة ونشاط .

منحها ابتسامة عذبة ، قبل أن يغمز بعينه .

هائما :

- لا تجعلى هذا المظهر يخدعك يا عزيزتى
الواقع أننى أقف على قدمى بصعوبة ، حفاظا على
كرامتى فحسب ، وتكئنى فى الحقيقة أكاد أسقط فقد
الوعى مرة أخرى .

أمسكت ذراعه ، قائلة فى حنان :

- هن تعلم ما الذى تحتاج إليه بالصبط ؟! النوم .
النوم العميق لفترة طويلة . قل لى : لم لا تستسلم
تنوم ، إلى جوار الصخور الأمامية ، وسأحرص على
إيقاظك بنفسى ، فور انتهاء العاصفة ؟!

صمت لحظات ، وهو يتطلع إليها بابتسامة هادئة ،
ثم لم يلبث أن مل نحوها ، هائما .

- أظنه أفضل اقتراح لك . طوال الساعات الثلاثين
الماضية ، يا زميئتى العزيزة يبدو أن .

قاطعه بغثة اتساع عينيها الشديد ، وهي تحرق في
 شيء ما خلف ظهره . فالتفت بسرعة إلى الصخور
 الامامية ، حيث تنظر ، وانعقد حاجبه في شدة
 فمن خلف تلك الصخور ، كان ينبعث ضوء مبهر
 متراقص ، امتزج بسرعة بهدير قوى عنيف .
 هدير لا يشبه أبداً ذلك الذى تحدثه الانهيارات
 الصخرية

هدير يخنف

يختلف إلى حد كبير ..
 ومخيف .

★ ★ ★



٥٠

٢ - البديل ..

لم تعد تلك الهليوكوبتر الحربية الصغيرة تظهر في
 سماء (سيبيريا) ، حتى تعلفت بها أنظار الجميع .
 في ذلك المعتقل الشهير ، وارتجفت القلوب في
 الصدور ، مع تلك الحمى التى اتتبت العقول .
 والتهفة فى الأعماق ، لمعرفة سر قدومها إلى
 المعتقل ، فى تلك الساعة ..

فمنذ أن ألقى بهم فى هذا الجحيم ، اعتادوا ألا
 تظهر تلك الهليوكوبتر إلا فى حالتين لا ثالث لهما
 إما أن تحمل إليهم معتقلاً حديداً .
 أو قراراً بإعدام معتقل قديم ..

ولأن أحداً لا يعلم قط من تعيس الحظ ، الذى
 حضرت الهليوكوبتر ، حاملة أمر إعدامه ، فقد هوت
 قلوب الجميع بين أقدامهم ، وازدادت وجوههم شحوباً
 وامتقاعاً ، وهم يراقبون هبوطها ، حتى استقرت فى
 المكان المخصص لها ، وعجزوا عن ازدياد لعابهم ،
 من شدة جفاف حنوقهم ، وهم يتابعون ذلك الجنرال ،

الذى غادرها فى عظمة واضحة ، وقد المعتقل يهرع
إليه لاستقباله فى احترام واضح ، ثم يقوده إلى
حجرتة بسرعة ..

وتبادل الجميع نظرات هلع وارتياح ، وكل منهم
يتصور نفسه الشخص المنتود ، وتنهال أعماقه فى
رعب ..

كُل هذا لم يشعر به الجنرال (ميلوسكى) وهو
يدلف إلى مكتب الكولونيل (إيفان) قائد المعتقل ،
وبلوح بيده ، قائلا :

- من الواضح أن أحوال المكان على ما يرام
يا كولونيل يبدو أن سياستى (البريسترويك) *
و (الجلاسونست) (**) لم تغيرا شيئا من الأمور ،
فى بعض الأماكن ،

هز الكولونيل (إيفان) كتفيه ، وقال :

(*) (البريسترويك) سياسة إصلاحية انتهجها (ميخائيل
جورباتشوف) لتغيير نمط الحياة فى الاتحاد السوفيتى . وقد أدت
فى النهاية إلى انهياره وتفككه .

(**) (الجلاسونست) سياسة حرى لـ (جورباتشوف) .
تعتمد على مصارحة الشعب بكل الحقائق .

- لكل عهد أعداء يا جنرال .

وافق الجنرال ببيعة من رأسه ، قائلا :

- بالتأكيد يا كولونيل بالتأكيد

ثم عقد كفيه خلف ظهره ، وتطلع إلى (إيفان)
بعض الوقت فى صمت ، قبل أن يقول بلهجة تحوى
شيئا من الصرامة :

- كولونيل (إيفان) عندي لك مهمة جديدة

ارتسمت ابتسامة خبيثة على شفתי (إيفان) ،
وهو يقول :

- أنت تعلم أنني رهن إشارتك دائما يا جنرال

ثم مال نحوه ، مستطردا :

- هل ترغب فى استعارة بعض العمال لمزرعتك
الخاصة ؟

اتعقد حاجب الجنرال لحظة ، وكأنما لا يروق له
القول ، وقال فى صرامة :

- بل ستنفذ عملية إعدام يا كولونيل

تراجع (إيفان) بحركة حادة ، هاتفا :

- عملية إعدام ؟

وصمت لحظة فى تفكير عميق ، قبل أن يسأل فى
حذر :

- بصفة رسمية ؟!

هز الجنرال رأسه نفيا في ببطء صارم ، دون أن يحيب ، قائما الكولونيل برأسه متفهما ، وسار نحو مكتبه ، واستند إليه لحظة ، نقر بأصبعه خلالها على سطحه ، قبل أن يسأل في القضاة :

- من ؟!

شد الجنرال هامته ، وهو يحيب في حزم :

- (بولانسكى) البروفيسير (ديوك بولانسكى)

ارتفع حاجبا الكولونيل بدهشة عارمة ، وارتجفت شفته لحظة ، وكأما لا يجد ما يقوله ، ثم لم يلبث أن هف بصوت مبجوح ، من فرط الانفعال :

- مستحيل !

قل الجنرال في صرامة :

- خلال ساعة واحدة يا كولونيل

هتف الكولونيل مبهورا :

- ساعة واحدة ؟!

ثم راح يحك ذقنه سيبته طويلا ، قبل أن يهز

كتفيه ، قائلا :

- فليكن يا جنرال أنا رهن إشارتك

وعندما غادر الرجلان حجرة القائد ، جفت الدماء في عروق المعتقلين ، وعادت قلوبهم تسقط في الجنيد بين أقدامهم ، عندما دارت عيون الرجلين في وجوههم ، قبل أن يهتف (إيفان) في صرامة قاسية :

- بروفيسير (بولانسكى) . احضر هنا فوراً .

انفض جسد (بولانسكى) في عنف ، وامتقع وجهه حتى كاد تميزه وسط التلوج المحيطة به يصبح مستحيلا ، وتراجع صارخا :

- أنا لم أفعل شيئا أقسم لكم إننى لم أفعل شيئا

انفض عنه الجنود في شراسة ، واتزعوه من بين المعتقلين ، وهو يصرخ في رعب ، في حين أشار الكولونيل (إيفان) إلى جنوده ، قائلا في صرامة :

- باقى المعتقلين فى عنابرهم . وفورا

انطق المعتقلون يعدون إلى عنابرهم في ذعر ، والجنود يصرخون في وجوههم ، ويلوحون بمدافعهم الآلية ، و (بولانسكى) ينهار صارخا :

- لا . لا أريد أن أموت . أنا لم أفعل شيئا لم

أرتكب أية أخطاء ..

فى نفس اللحظة ، كانت أبواب العنابر الضخمة

تغلق في وجوه المعتقلين ، الذين اكتمشوا في
امكنهم ، وصوت الكولونيل (ايفان) يخترق آذانهم ،
وهو يهتف في الخارج :

- فرقة الإعدام .. استعد .. اضرب ..

ودوت الرصاصات دفعة واحدة ، فتنفست اجسادهم
في عصف ، قبل أن تنكمش أكثر وأكثر

وفي الحرج . عدت الهليوكوبتر ترتفع ، ثم تنطلق
مبعده عن معقل (سيبيريا) ، في طريقها لبداية

فصل جديد من المعركة ..

معركة السنيورا ..

النووية ..

خفق قلب (جيهان) في قوة ، وهي تتطنّع الى
ذلك الضوء المبهر ، الذي يطل من خلف الصخور
الامامية . مع الهدير القوي المصاحب له ، في حين
تراجع البروفيسير (ماتهيم) في هلع ، وهو يهتف :
- رباه ! ما هذا ؟ وحش كاسر ؟!

أجابه (أدهم) في صرامة ، دون أن يرفع عينيه
عن الضوء :

- الوحوش الكسرة لم تتطور بعد يا بروفيسير ،
الى الحد الذي تستخدم معه المصاييح المبهرة
والمحركات القوية .

وهنا اندفعت (جيهان) تقول :

- أنت على حق يا (أدهم) إنها إحدى الآلات
القوية . هدير محركها ، مع صمودها في قلب
العاصفة ، يؤكدان أنها ثقيئة قوية

صاح البروفيسير في لهفة :

- إذن فيمكنها إنقاذنا ، وإخراجنا من هنا

ثم اندفع نحو الصخور ، صاخحا :

- النجدة نحن مسجونون هنا أنقذون . الله

وثب (أدهم) نحوه في خفة ، على الرغم من
إصاباته وإجهاده ، ووضع كفه على فمه ، قائلا في
صرامة :

- اصمت يا رجل لا تستنجد بمن تجهل هويتهم ،
في مثل هذه الظروف ..

قاومه العائم في عصف ، محاولا التحلّص منه ،
وراح يضرب بذراعيه وساقيه ، في حين هتفت
(جيهان) في قلق :

.. أتعتقد أنهم قد سمعوه يا (أدهم) ؟^{١٤}

هز رأسه نفيا في حزم ، وهو يقول .

.. كلا .. هدير المحرك قوى للغاية ، والرياح

العاصفة تهب في اتجاهنا .

تردّدت لحظة ، ثم مالت تسأله :

.. وماذا لو أن بإمكانهم إيقادنا بالفعل ؟^{١٥}

أجابها بنفس الحزم :

.. لا يمكننا أن نجازف .

أزاح البروفيسير يد (أدهم) عن فمه ، في هذه

اللحظة ، وصرخ بكل قوته :

.. النجدة . انقذوني . أخرجوني من هذا الجحيم

وفي نفس اللحظة ، التي انطلقت فيها صرخته ،

وبتزامن دقيق مذهش . توقف هدير المحركات ،

فجئلت الصرخة بيس الحاجزين الصخريين ، على

نحو قوى واضح ، جعل (جيهان) تقول في حلق :

.. اللعنة !..

أشار (أدهم) إليها بالصمت ، وهو يقول

لبروفيسير في صرامة غاضبة :

.. معذرة يا بروفيسير ، ولكنك تثير المتاعب كثيرا .

ومع نهاية عبرته ، هوى بقبضته على فك

البروفيسير بنكمة عنيفة ، ارتج لها كيان الرجل في

قوة . قبل أن يتهوى فاقد الوعي ، بين ذراعي

(أدهم) ، الذي أرقده أرضا في رفق ، و (جيهان)

تسأل قلقة :

.. لقد سمعوه هذه المرة أليس كذلك ؟!

أوماً (أدهم) برأسه إيجابيا ، وهو يضع سبابته

على شفتيه ، ثم تحرك في خفة نحو الصخور الأمامية .

ونحفت به هي في سرعة ، وراحا يتسلقاتها في

خفة

ولكن فجأة ، انطلق الهدير مرة أخرى ، مع ذلك

الضوء الصاطع ..

ثم ارتطم شيء ما بالصخور ..

ارتطم بها في شدة ، على نحو فقد معه (أدهم)

و (جيهان) اتزانهما ، و ...

وسقطا ..

سقطا على أرضية المعمر ، في نفس اللحظة التي

بدأت فيها الصخور مرحلة السقوط

نحوهما ..

وكان هذا يعنى أنهما يواجهان خطرا جديدا .
خطر الانسحاق تحت أضنان من الصخور الهائلة .

فى قلب ممر (بيليجرو)

ممر الجحيم

★ ★ ★

تسللت دقات هادية إلى أذنى (منى) ، وهى تعد
حقيبتها ، فى حررتها بالمستشفى ، فأدبرت عينيها
إلى الباب ، قائلة :

- ادخل .

تساءلت فى اعماقها عن القادم ، وهى تتابع حركة
الباب فى اهتمام ، ونم يكذبصرها يقع عليه ، حتى
هتفت فى دهشة :

- (عماد) ؟

ابسم الطبيب الوسيم الشاب فى هدوء ، وهو يقول :

- أسمعحين لى بالدخول ؟

حدقت فى وجهه لحظة بدهشة ، قبل أن تقول .

- بانطبع يا دكتور (عماد) . تفضل

تقدم إلى الداخل فى شىء من الحرج ، وهو يقول

مرتبكاً :

- والدتك أخبرتنى أنك ستغادرين المستشفى اليوم ،
ورأيت أنه من الأفضل أن أوصلك إلى المنزل بنفسى ،
و ...

تضاعف ارتبكته ، فلم يستطع إكمال عبارته ،
وراح ينوح بكفيه بلا معنى ، مع ابتسامة مضطربة ،
أثارت الشفقة فى نفسها ، فغمغمت .

- شكرا جزيلا على اهتمامك يا دكتور (عماد) ،
ونكن أحد زملائى سيقوم بهذه المهمة بالفعل ، وهو
فى طريقه إلى هنا الآن ، ولا يمكننى أن

قاطعها بفتة :



- (منى) هل ترفضيننى ؟

هتفت بدهشة مرتبكة :

- أرفضك ؟

اندفع فجأة يقول فى اتفعال ، وكأنما قرر طرح
أفكاره كلها دفعة واحدة :

- (منى) إننى شديد الاهتمام بك ، منذ عدة
سنوات ، وربما منذ كنا صغيرين ، نلهو مع فى
حديقة منزل جدى . صحيح أننى أصغرك بعام واحد ،
ونكن حنم حياتى أن أرتبط بك . أعنى أن نتزوج ، و

عاوده الارتباك اكثر واكثر ، فتراجع متمتما :

- وكفى .

حدقت فيه لحظات فى صمت ، قبل أن تقول .

- دكتور (عماد) .. الواقع أفتى ..

قاطعها فى لهفة :

- لا لا لا تتسرعى بالجواب . خذى كل وقتك للتفكير واتخاذ القرار . أعلم أن الأمر ليس سهلاً ، وأن طبيعة مهنتك تجعلك شديدة الحذر ، و

هتفت بدهشة :

- طبيعة مهنتى ؟!

أجابها بسرعة :

- نعم . والدتك أخبرتنى أنك تعملين فى جهة أمنية مهمة ، والعاملون فى مثل هذا المجال يلتزمون الحذر أكثر من غيرهم فى المعتاد .

ظلت تتطلع إليه فى صمت ، على الرغم من الغضب الهائل ، الذى تصاعد من أعماقها ، لأن والدتها أفصحت عن أمر كهذا ، ثم لم تلبث أن أدارت عينيه عنه ، وغمغت فى شيء من التوتر .

- (قدرى) !

قال الدكتور (عادل) فى حيرة :

- (قدرى) ؟ من (قدرى) هذا ؟!

أده الجواب من خلفه مباشرة ، بصوت هادئ ، يقول :

- إيه أنا يا فتى .

التفت (عادل) فى دهشة إلى (قدرى) ، الذى منحه ابتسامة هادئة ، مستطرداً :

- يسعدنى لقاءك .

صافحه الطبيب الشاب فى ارتباك ، وهو يقول .

- أنا أيضاً يسعدنى لقائك يا سيد (قدرى) .

اسمى (عادل) ، طبيب بشرى ، فى الـ .

قاطعته (منى) ، فى شيء من الحزم .

- أنا مستعدة للانصراف يا (قدرى)

أسرع (قدرى) يتنقظ حقيبتها ، وهو يقول .

- فرصة سعيدة للغاية يا دكتور (عادل) . كنت

أتمنى أن أقضى معك بعض الوقت ، ولكن .

لم يجد ما يكمل به عباراته المجاملة ، فأسرع

بغادر الحجرة ، فى حين توقفت (منى) لتصفح

الطبيب الشاب فى هدوء ، قائلة :

- معذرة يا دكتور (عادل) ، ولكن بعض الأمور
تضطرنى للمفطرة الآن إنها طبيعة مهنتى ، كما
أخبرتكم أمى .

- تعتم :

- بالطبع بالطبع يمكننى تقدير هذا
ثم مال نحوها ، مستطرذا بصوت متهدج :
- ولكن هل تعديننى بالتفكير فى الأمر ؟
ابتسمت قائلة :

- أعدك يا دكتور (عادل) .. أعدك ..

راقبهما (قدرى) فى صمت ، دون أن يعنى على
الموقف ، وظل على صمته حتى انطلقت سيارته
مبتعدة عن المستشفى ، ثم قال فى شىء من التحذر :
- كنت قاسية للغاية على الفتى .

تنهدت قائلة فى أسف :

- هذا صحيح .

ثم استطردت فى لهفة واهتمام :

- ولكن دعك من هذا الآن . هل من أخبار جديدة
عن (أدهم) ؟

أوما برأسه إيجاباً ، فهتفت :

- رباه ! وكيف يمكنك السكوت ايها السخيف .
هات ما لديك بسرعة ؟

هز كتفيه المكتظتين ، قائلاً :

- أنت تعلمين كم من العسير أن يحصل المرء على
معلومات خاصة بعمليات الجهاز ، حتى ولو كان أحد
العاملين فيه ، وخصوصاً المعلومات التى ترتبط
بالعملاء ذوى الحيثية ، مثل صديقنا (أدهم صبرى)
وزميلته (جيهان) ، و ...
قاطعته فى حدة :

- هات ما لديك يا (قدرى) .

تنهد فى عمق ، وهز رأسه لحظة ، ثم قال .

- كل ما استطعت الحصول عليه ، هو أن (أدهم)

و (جيهان) فى (البرازيل) .

هتفت فى دهشة :

- (البرازيل) ؟

أوما برأسه إيجاباً ، وقال :

- وفى (ريو دى جانيرو) بالتحديد

اتسعت عيناها لحظة فى ارتياح ، قبل أن تهتف :

- رباه ! ولكن نشرات الأخبار تؤكد أن تلك

المسطقة تواجه اعنف عواصف في تاريخ هذا القرن .
تمتم في خفوت مفعم بالتوتر :
- بالضبط .

ثم مال نحوها ، مستطرذا بصوت خافت :
- واحر برقية أرسلها (أدهم) . كانت قبل أن
تهب العاصفة مباشرة ، والجميع يخشون أن يكون قد
بغذ ما جاء بها ، واتخذ ممر (بيليجرو) ، لبوغ
الطريق الخلفى للعاصمة (برارنيا)
سألته بصوت مرتجف :

- ولماذا يخشون هذا الأمر ؟
أوقف السيارة على جانب الطريق ، وكأننا لا يمكنه
أن يقود ، ويبقى إليها بالخبر في ان واحد ، ثم التفت
إليها ، قائلا بصوت انتفض له قلبها بين ضلوعها :
- لأن ممر (بيليجرو) هو الذى تلقى الصفعة
الكبرى ، من هذه الرياح القاتلة

واتسعت عين (منى) فى ارتياح ..
إذن فقد كانت كل مخاوفها على حق .
إن (أدهم) يواجه خطرا رهيبا .
خطرا بلا حدود ..

★ ★ ★

كان الموقف خطيرا بحق ..
(أدهم) و (جيهان) سقطا أرضا ، والصخور
الضخمة تتساقط فوقهما ، فى قلب ممر الخطر ..
وسقوط صخور ضخمة كهذه ، لا يحتاج لأكثر من
ثوان معدودة ..

وثقلها يكفى لسحق الجميع ..
وبلا هوادة ..
البروفيسير (ماتهيم) ..
و (جيهان) ..

وحتى (أدهم صبرى) نفسه ..
ولكن الأخير بالذات تحرك بسرعة مذهلة ، جعلت
عين البروفيسير تتسعان فى انبهار ، وفكه السفلى
يسقط مبهوتا ..

ففى نفس اللحظة ، التى سقط فيها على الأرض ،
هبط (أدهم) واقفا ، ودفع (جيهان) جانبا بكل
قوته ، وهو يهتف :
- التصق بالجدار .

ثم اندفع نحو البروفيسير بسرعة البرق ، وانتزعه
من الأرض انتزاعا ، وانطلق يعدو به نحو الجدار .

وأمام عيني (جيهان) المذعورتين ، ارتطمت
صخرة كبيرة بالأرض . ثم اندفعت تتلحرج بسرعة
مدهشة ، نحو (أدهم) والبروفيسير ..

وبكل قوتها ، التصقت (جيهان) بالجدار الصخري ،
صائحة :

- (أدهم) .. احترس يا (أدهم) .

انطلق (أدهم) يعدو بأقصى سرعته ، حاملاً
البروفيسير على كتفيه ، والصخرة الهائلة تطارده في
إصرار ..

وتزايدت سرعته على نحو عجيب ، على الرغم من
جراحه واصاباته ، حتى صار أشبه بالة بشرية ، ثم
تجهيزها لغرض واحد محدود ..

العدو ..

واتسعت عينا البروفيسير (ماتهيم) أكثر وأكثر
من ذلك الذي يحدث أمامه مباشرة ، أمراً يتجاوز
كل قواعد العلم والطب ، والفسولوجيا (*) .

بل وحتى قوانين الحركة ..

(*) الفسولوجيا : علم وظائف الأعضاء ..

ما من بشري ، يمكنه ان يعدو بهذه السرعة
المدهشة

حتى ولو لم يكن مصاباً بكل تلك الاصابات ،
ويحمل رجلاً ناضجاً على كتفيه ..

وبكر دهشته وذعره وانبهاره ، هتف البروفيسير :

- مستحيل !.. أنت رجل مستحيل !

وفي نفس اللحظة التي هتف فيها بعبارته ، وثب
(أدهم) ..

كانت وثبته جانبية مدهشة ، تجاوز معها أربعة
أمتار دفعة واحدة ، قبل أن يلتصق مع حمله بالجدار
الصخري ..

وشهق البروفيسير (ماتهيم) في ارتباك ، عندما
عبرت الصخرة الهائلة على مسافة سنتيمتر واحد من
رأسه ؛ لتواصل طريقها عبر الممر ، حتى ارتطمت
بالصخور الخفية ، واستقرت عندها

ونشوان ، لم يسمع في الممر سوى ذلك الهدير
المخيف ، الذي بدا وكأنه يتراجع مبتعداً ، والضوء
المبهر ينسحب معه رويداً رويداً ، ثم تفجر فجأة
صوت (جيهان) ، وهي تعدو نحو (أدهم)

والبروفيسير ، هتفة فى لهفة مذعورة :

- (أدهم) .. (أدهم) .. أأنت بخير ؟!

اتحنى (أدهم) ، ليضع البروفيسير أرضاً ، وهو

يجيب :

- حمداً لله (سبحانه وتعالى) ، صاحب كل الفضل .

هتف البروفيسير ، وهو يلوح بسبابتة فى وجه

(أدهم) :

- هذا الرجل رائع . مستحيل ...! معجزة .. إننى

مبهور بما فعله ، وأكاد لا أصدقك ، على الرغم من

أننى رأيتك بعينى .

ارتفع حاجبا (جيهان) فى حنان مبهور ، وهى

تتطلع إلى (أدهم) ، قائلة :

- لقد شاهدت فعلاً واحداً من أفعاله يا بروفيسير ،

فما بالك بى ، إننى رأيت العشرات من هذه الأفعال

المبهرة ؟!

هتف البروفيسير :

- أنتما أمريكيان .. أليس كذلك ؟!

ارتفع حاجباها ، وهى تقول فى دهشة :

- أمريكيان ؟ ولماذا ؟!

لوح بذراعيه ، هاتفاً فى حماس :

- بسبب أعمالك المبهرة رجال المخابرات

المركزية الأمريكية وحدهم يمكنهم فعل كل هذا .

تبادل (أدهم) و (جيهان) نظرة ساخرة ، قبل أن

تغمغم هى :

- حقاً ؟!

ثم أشارت بيدها إلى (أدهم) ، قائدة :

- وماذا لو أخبرتك أن هذا الرجل ، الذى بهرتك

أعماله ، وجعلتك تتحدث بكل هذا الحماس ، ليس

أمريكياً على الإطلاق ، وإنما هو مصر .

بترت عبارتها بغتة ، وهى تصرخ :

- (أدهم) .. ماذا أصابك ؟!

هتفت بها ، وهى تثب نحوه بكل قوتها ، محاولة

التقاطه ، عندما شحب وجهه بغتة ، وزاغت عيناه ،

و ...

وهوى ..

هوى بلا حراك ، على أرضية التمر ..

ممر للجحيم .

★ ★ ★

٤ - بعد العاصفة ..

« سبعة قتلى ، وأكثر من أربعين مصابًا يازميلي .. »
نطق مفتش الشرطة العبارة ، وهو يراجع آخر
التقارير الواردة ، خلال الدقائق العشرين الأخيرة ، ثم
أشار بيده لزميله المفتش (باتدرياس) ، مستطردًا :
- وكأننا نخوض حربًا ضروسًا مع الطبيعة .

غمغم (باتدرياس) ، وهو يتطلع عبر النافذة :
- العاصفة هذات

التفت إليه زميله في دهشة ، قائلًا :
- ماذا ؟

أشار (باتدرياس) إلى المشهد في الخارج ،
مكررًا :

- العاصفة هذات لم تعد عنيفة كذى قبل .

تطلع إليه زميله لحظة في حيرة ، ثم نهض إليه ،
قائلًا :

- وكيف عرفت ؟! هل استمعت إلى النشرة
الجوية قريبًا ؟



هوى بلا حراك ، على أرضية المر ..

هز (باتدرياس) رأسه نفيا في بطة ، قبل أن يجيب :

- كلاً ، ولكن أشجار النخيل لم تعد تتحنى للعاصفة بشدة ، وأمواج المحيط هدأت على نحو ملحوظ .
تهدد زميله ، قائلاً :

- حمدا لله . هذا يعنى أن الحوادث ستخفض أخيراً .

أجابه (باتدرياس) :

- بالتأكيد . الأمور ستعود بسرعة إلى سابق عهدها ، بعد إعادة تنظيم ما قلبته العاصفة .. انظر ..
ها هي ذى أول سيارة تتحدى العاصفة ، وثبتت لنا أنها قد هدأت كثيراً .

ارتفع حاجبا زميله ، وهو يقول فى شيء من الدهشة :

- سيارة ؟

ثم اتجه إليه ، وألقى نظرة عبر النافذة بدوره ، على السيارة السوداء الكبيرة ، التى تتطلق عبر شوارع المدينة ، قبل أن يفهم :

- عجباً !.. لا ريب فى أن قائد هذه السيارة لديه

سبب قوى للغاية ، حتى يغادر منزله . فى مثل هذه الظروف .

قالها ، دون أن يدري أن ركاب السيارة السوداء ، لديهم بالفعل سبب قوى للغاية ؛ لينطلقوا بسيارتهم ، فى هذا الطقس ..

سبب يحمل اسم (لاهم) ..
(لاهم صبرى) ..

فى داخل السيارة ، كن (كوادروس) يطلق زفرة متوسرة ، ويسأل (أندروفيتش) فى شيء من العصبية :

- ألم يكن من الأفضل أن تنتظر انتهاء العاصفة أيها القائد . الجميع يشعرون بالقلق ، لخروجهم فى مثل هذه الظروف ؟!

أجابه الروسى فى صرامة :

- لقد تقاضوا أجوراً باهظة ؛ ليفعلوا ما لا يقدر على فعله سواهم ..

غمغم (كوادروس) :

- هذا صحيح ، ولكن العاصفة ..

قطعه (أندروفيتش) فى صرامة :

- ما دما قد استطعنا الخروج ، فى هذه المرحلة
منها ، فهذا يعنى ان (آدم صبرى) أيضا يمكنه
تجاوزها ، ومن الخط أن نمنحه نقطة تفوق وحدة
لا بد وأن نلتقطه قبل أن يلتقط هو اندسه

تمتم (كوانروس) معترضاً :

- المهم أن نلتقط نحن انفسنا أيضا .
اشار إليه الروسى فى صرامة . قىلا :

- اصمت وقد السيارة يا رجل .

مط (كوانروس) شفتيه معترضاً ، ولاذ بالصمت
المحلق ، وهو يواصل قيادة السيارة ، حتى بلغ مطار
بخوس ، وتوقف أمام حظيرة طائرات كبيرة ، وهنا
فقط غمغم :

- اتعلم أن يكون الرجال هنا .

غادر (أندروفيتش) السيارة ، وهو يقول بنهجته
الباردة :

- وأن يكونوا قد انتهوا من عملهم ، وإلا .

لم يتم عبارته ، وإن بدا معناه واضحاً حلياً ، على
نحو جعل (كوانروس) يشعر فى أعماقه بشفقة
مسبقة ، تجاه أصحاب الهيوكوبتر . لو أنهم لم يتموا
عملهم بالفعل ..

أما (أندروفيتش) ، فقد توقف لحظة ، ليستمع
بقوة الريح ، التى تزيد سرعتها على اربعمئة
كيلومتر فى الساعة ، ثم تحرك فى خطوات سريعة
إلى حظيرة الطائرات ، ولم يعد يدلف إليها ، حتى
التفت إليه أربعة من العمال ، الذين يحيطون بطائرة
هنيوكوبتر كبيرة ، فى حين اندفع نحوه رجل خامس ،
يسأله فى توتر :

- من أنت ؟ كيف دخلت إلى هنا ؟

استزع (أندروفيتش) قفازه اللينى ، وهو يجيب
فى برود :

- سؤالك انتهى ساذج وسخيف يا رجل ؛ لأن أى
شخص يمكنه دخول مطارك ، الذى تركت بوابته
مفتوحة على مصراعها ، دون حارس معوق واحد ،
حتى إنه ليدهشنى أن طائراتك مازالت على المهبط ،
دون أن يسرقها أحد ، أما بالنسبة لسؤالك الأول ،
فأنا الرجل ، الذى يدفع ثمن كل هذا . الهنيوكوبتر ،
والمدافع الآلية ، والذخيرة .. وكل شيء

ارتفع حاجبا الرجل فى دهشة ، وهتف :

- آه .. سنيور (أندروفيتش) معذرة يا سيدى

لماذا لم تيلق بحضورك ؛ لتأهب لاستقبالك على
نحو لائق .

تجاهل الروسي عبارات النفاق والمجاملة ، وأشار
إلى الهيركوبتر ، قائلاً بلهجة الجافة الباردة :

- هل أعددتكم كل شيء ؟

أجاب الرجل في سرعة :

- كل شيء على ما يرام تقريباً يا سنيور
(أندروفيتش) . الهيركوبتر مزودة بالوقود ، ولقد
أضفت إليها أربعة مدافع آلية ، وصواريخ ، وكلها
يمكن إطلاقها من مقعد القيادة ، بوساطة أزرار
دقيقة ، و ...

قاطع الروسي :

- لماذا تقريباً إذن ؟

لم يفهم الرجل ما يعنيه السؤال ، فتمتم في توتر :

- عفوا !

أشار الروسي بسبابته ، مكرراً في حزم :

- لماذا استخدمت كلمة (تقريباً) ؟ الأمر يبدو لي
مكتملاً .

هتف الرجل :

- فيما عدا الطيار .

التقى حاجباً (أندروفيتش) ، وهو يسأله :

- هل ستنتظرون طويلاً ؟

هرش الرجل رأسه ، مجيباً :

- أعتقد أنكم ستنتظرونه أكثر مما ينبغي يا سنيور ،
فكل طيارينا يرفضون الإقلاع ، في هذه الظروف
المنذخية ، ويصرون على الانتظار حتى تنتهي
العاصفة ، أو يهدأ الـ ...

قاطع الروسي في حزم صارم :

- لسنا نريد طياراً .

هتف الرجل في دهشة :

- ماذا ؟ !

أجاب (أندروفيتش) في حزم ، وهو يبرز بطاقة
خاصة من جيبه :

- أنا أحمل تصريحاً بطيران ، وسأقود الهيركوبتر
بنفسي .

حدق الرجل في التصريح لحظات في دهشة ، قبل
أن يرفع عينيه إليه ، متسائلاً في قلق شديد .

- هل تعتقد أنه بإمكانك قيادتها ؟ !

ارتسمت على شفتي الروسية ابتسامة ساخرة ،
وهو ينقى نظرة على الهليوكوبتر ، مجيئاً :
- لو أنني أخبرتك بطراز الطائرات التي قدتها
يا رجل ، لشعرت بالخجل لسوائك هذا .
صمت الرجل بضع لحظات ، قبل أن يهز كتفيه ،
قائلاً :

- فنيكن تصريحك يسمح لك بقيدتها بالفعل ..
سنتهي من إعدادها ، قبل انتهاء العاصفة ، و ...
قاطعته الروسية ثانية :

- سنقتل الآن يا رجل .
حدق الرجل في وجهه بدهشة ، هتفاً :
- ماذا ؟

أجابته الروسية بصراخة مخيفة :
- الآن يا رجل .

ثم التقى حاجباه الكثبان في شدة ، على الرغم من
تلك النبرة الساخرة في صوته ، وهو يتابع :
- فالشمس ستشرق بعد قليل ، والصيد الذي نسمي
خنفه ، يبدأ يومه عادة قبل الجميع ، وأنا أريد في
أن أقدم له مفاجأة كاملة ..

وتألفت عيناه ، وهو يضيف :
- أقوى مفاجأة في حياته ..
وتسملت إلى شفتيه ابتسامة مبتسرة ، مع
استطردته :
- وأخرها .
وقدالت عيناه تألقاً ..
بشدة ..

فجأة ودون أية مقدمات ، استيقظ عقل (أدهم)
وعندما نطق عبارة كهذه ، على عقل رجل مثل
(أدهم صبري) ، فهي تعني الكثير
والكثير جداً ..

فكل الدراسات الطبية الحديثة ، تؤكد أن الرجل
البالغ يحتاج إلى ست ساعات من النوم المتصل يوميا ،
على الأقل ، حتى يمكنه العمل والتفكير كما ينبغي
وئكن إيقاع حياة (أدهم صبري) لم يحظ قط بتلك
الرفاهية ..

لقد اعتاد جسده وعقله الا يخلدا للنوم أكثر من
ساعت أربع ، طوال اليوم بأكمله .

وهذا على أقصى تقدير ..

لذا فقد طور جسده نفسه ، ليتواءم مع هذا الكم الضئيل من النوم ..

وهذه واحدة من أفضل مميزات الجسد البشري ، وأعظم الصفات ، التي وضعها فيه الخالق (عز وجل) . قدرته المدهشة على التكيف ، وملاءمة كل الظروف . فالجسد البشري ، الذي يحيا في قلب الصحراء ، عند خط الاستواء* ، يمكنه أن يعدل من صفاته ، ويتكيف تماما على العيش في قلب (ألاسكا) (**) . لو اقتضت الظروف ..

والعكس بالعكس ..

وعندما استيقظ عقر (أدهم) وجسده ، في قلب ممر الخطر ، كان يخرج من غيبوبة عميقة ،

(*) خط الاستواء . هو خط العرض رقم (صفر) ، على خريطة العالم . الذي يقسم الكرة الأرضية إلى نصفين ، شمالي وجنوبي . ويتم تحديد كل خطوط العرض نسبة إليه .
(**) ألاسكا . ولاية أمريكية ، عاصمتها (جوبو) ، اشترتها (أمريكا) من (روسيا) عام ١٨٦٧ م . وظهرت أهميتها الحربية في الحرب العالمية الثانية ، ومن أهم مواردها الأسماك . والمعادن . والفراء ، والزراعة بها قليلة .

استغرقت أربع ساعات كاملة ..

ونقد أحسن جسده وعقته استغلال هذه الساعات الأربع ولأقصى حد ..

الجسد استعاد نشاطه وكفاءته ، بعد تعويض ما فقده من دماء ، وما بذنته كل عضلة فيه من جهد هائل . والعقل عاد إلى صفائه وسرعة تفكيره ، وقدرته المدهشة على تبادل المعلومات مع أجهزة الجسم المختلفة بسرعة خارقة ، تفوق مثيلتها مع الآخرين بعشر مرات على الأقل ..

لذا ، فعندما نقول : إن عقل (أدهم صبرى) قد استيقظ بغتة ، فإننا نعني أنه قد استعد كل كفاءته . ودفعه واحدة ..

وفي هدوء ، نهض (أدهم) جالسا ، وتلفت حوله في اهتمام ..

كانت (جيهن) راقدة إلى جواره ، غارقة في نوم مجهد عميق ، والبروفيسير (ماتهنايم) على قيد خطوات منهما ، والشمس توشك على الشروق ، وسط العاصفة ، التي فقدت أكثر من ستين في المائة على الأقل من حدتها ..

والصخور المنخفضة منتشرة في كل مكان ، وبالأدوات
حول السيارة . التي تحولت بفعل الانهيار إلى كومة
من الخردة المسحوقة ..

وفي خفة ونشاط ، هب (أدهم) واقفاً ، وتذاعب ،
قائلاً :

- حمد الله . لقد استعدت معظم نشاطي ، بعد كل
ما حدث ، منذ وصولنا إلى هنا . كان جسدي يحتاج
إلى بعض الراحة بالتأكيد .

لم يكذب ينطقها . حتى اتفقد حجبته على نحو
مباغت ..

وبشدة ..

فوسط ذلك المريج المعقد من الأصوات ، الذي
تصنعه الرياح ، مع احتكاكها بالجدران الصخرية
للحمر ، والصخور المنتشرة فيه ، وأوراق الشجيرات
الصغيرة ، وغيرها ، مبرت أدناه الحساسية المرهفة
أزيز مروحة هليوكوبتر تقترب ..

وبسرعة ، اتحنى (أدهم) يوقظ (جيهان) ، قائلاً
في حزم :

- (جيهان) .. استيقظي .

فتحت عينيها في دهشة ، وهتفت في فرح
- (أدهم) .. هل استعدت وعيك ؟!

تجاهل سؤالها تماماً ، وهو يستطرد :

- هناك هليوكوبتر في الطريق .

حدقت في وجهه ، وكأنها لا تفهم عبرته ، في
حين قفز البروفيسير (ماثييم) من مكتبه ، هاتف
في لهفة :

- هليوكوبتر ؟! إذن فقد وصلت النجدة أخيراً !

التفت إليه (أدهم) ، قائلاً في صرامة .

- اسرع إلى ذلك الركن هناك ، اسرع تلك الصخرة
المنخفضة .

أشار البروفيسير إلى السماء ، هاتفاً بلهجة
استكبر :

- ولكنها لن تلمحنا عندئذ .

أجابته (أدهم) في صرامة شديدة :

- هذا هو المطلوب .

بدت الدهشة على وجه البروفيسير لحظة ، وهم
بالاعتراض بعبارة أخرى ، إلا أنه لم يلبث أن تذكر
نكمة (أدهم) وتأثيرها ، فطبق شفتيه ، وعقد

حاجبيه ، وهو يسرع نحو الصخرة ، التي أشار إليها
هذا الأخير ، في حين سألت (جيهان) في قلق ،
وهي تتجه إلى الصخرة بدورها :

- هل تعتقد أن تلك الهليوكوبتر تسعى خلفنا ؟

أجابها في حزم :

- أندرِك سبب آخر ، لخروج هليوكوبتر ، في مثل

هذا الطقس ؟!

التقى حاجباها الجميلان ، دون أن تتيسر بينت
شفة ، واحفت جسدها بقدر الإمكان أسفل الصخرة ،
والبروفيسير يقول في عصبية :

- وماذا لو أنها تسعى خلفنا لإقناذنا ؟

ابتسم (أدهم) في سخرية ، قائلا :

- أؤكد لك أننا لسنا مشهدا هزليا ، في فيلم من

أفلام الدرجة الثالثة .

هزت (جيهان) رأسها ، مغفمة :

- ولكنني لا أميز صوت الهليوكوبتر ، و

قبر أن تتم عبارتها ، برزت الهليوكوبتر بفتة ، في

سماء الممر ..

وفي نفس اللحظة تقريبا ، أشار إليها (أدهم)

في صرامة ، لتلوذ بالصمت .

وفي توتر بالغ ، تعثقت عيون الثلاثة بالهليوكوبتر ،

التي توقفت قليلا في سماء الممر ، وكأنما يبحث

قائدها عن شيء ما ، ثم انطلق من قاعدتها ضوء

قوي ، غمر المكان كله ، وراحت تدور حول نفسها

في ببطء ، والبروفيسير يغمغم في توتر شديد :

- مع هذا الضوء المبهر ، سيتمكنهم رؤية حطام

السيارة .

قال (أدهم) في حزم :

- ليس من هذه الزاوية .

أما (جيهان) ، فتمتمت :

- كنت على حق يا (أدهم) إنها تبحث عنا .

واصلت الهليوكوبتر دوراتها حول نفسها بعض

الوقت ، وكأنما تتفحص المنطقة جيدا ، ثم لم تلبث أن

ابتعدت مواصلة البحث عبر الممر ، فغمغت (جيهان) :

- حمدا لله .. لقد انصرفت .

أجابها (أدهم) في حزم ، وهو يغادر مكنه :

- مستعود إليك حتماً ، بعد أن تكشف عدم وجودنا

في الممر .

هتف البروفيسير في حلق :

- تصرفاتكم هذه لا تروق لى ابدا . انكما تتحدثان
بنعة اجهنها ، وتظنران الى كل الأمور بمنظار أسود..
من ادراكما أن تلك الطائرة لم تكن تسعى لإنقاذنا
بالفعل !؟

التفت اليه (ادهم) ، قائلا في سخرية :

- ستكون المرة الأولى ، التى ارى فيها هنيوكوبتر
اتقد بهذا الحجم ، تم تزويدها بأربعة مدافع آلية
طويلة المدى ، وصاروخين موجهين ، يمكن لكل
منهما نسف دبابة كاملة .

اتسعت عينا البروفيسير ، وهو يقول بدهشة :

- كيف أمكنك أن تلاحظ كل هذا !؟

ابتسمت (جيهان) ، قائلة :

- لا تشغل عقلك بالتفكير فى هذا يا بروفيسير
الرجل الذى امامك يمكنه أن يفعل ما يعجز عقلك عن
تصوره .

أوما برأسه ، مغمضاً فى انبهار :

- لقد رأيت بنفسى .

بدا الضيق على وجه (ادهم) ، وكأما لا يحتمل

هذا المديح ، وقال فى صرامة :

- دعونا من هذه السخافات تلك الهنيوكوبتر
ستعود إلينا حتما ، ومع زاوية طيرانها فى أشياء
العودة ، سيكون من السهل على ركبائها أن يلحقوا
حطام السيارة ، خاصة وأن الشمس سيعتدل شروقها
بعد قليل ، ولست احب أن اواجههم داخل هذه
المصيدة .

سألته (جيهان) فى اهتمام :

- ماذا تقترح إذن !؟

أشار إلى الصخور الأمامية ، قائلًا

- أن نعبّر هذا الحاجز ، ونخرج من المصيدة

هتف البروفيسير معترضاً :

- خطأ يا رجل . خطأ .. خروجنا من هنا سيجعلنا

مكتشوفين داخل الممر ، الذى يمتد لعدة كيلومترات
أخرى ، مما يجعل منا هدفا سهلا ، لراكبى تلك
الهنيوكوبتر .

أجابته (ادهم) بمرعة :

- لست أعتقد هذا يا بروفيسير ، فمن المؤكد أن

الانبيارات لم تحدث فى تلك المنطقة وحدها من الممر .

وإنما حدثت حتماً في أماكن أخرى ، ولو أننا خرجنا
من تلك المصيدة ، فسنجد حتماً أماكن يمكن الاختفاء
فيها ، عندما تعود الهليوكوبتر .

قال البروفيسير في عصبية :

- ولماذا لا تبقى هنا ؟!

أجابته في صرامة :

- لأنهم ، عندما يلحقون حطام السيارة ، سيهبطون
حتماً لنفقه ، وسيكونون مسلحين بالمدافع الآلية ،
والقنابل اليدوية أيضاً ، ونحن نجهر عددهم وعدتهم ،
ولسنا نملك أية أسلحة لمواجهةهم .

أجابته (جيهان) بلهجة مرحة ، لا تتفق قط مع
الموقف :

- خطأ ، أننا نملك مسدسنا وأربعة رصاصات ..
لقد انتزعته من بين حطام السيارة ، في أثناء فقدانك
الوعي .

التفت إليها (أدهم) ، قائلاً في حزم :

- ومذا لو قرروا إطلاق أحد الصاروخين ؛ لتطهير

المكان ، قبل هبوطهم فيه ؟!

انعقد حاجبها ، في نفس الوقت الذي اتسعت فيه

عينها البروفيسير في ارتياح ، وهو يقول :

- لا بد وأن نخرج من هنا بأقصى سرعة .. لا بد .

أشار (أدهم) إليه بيده ، قائلاً :

- سنفعل يا رجل . سنفعل بأذن الله . ولكنني

سأتفقد باقي العمر أولاً . انتظرائي هنا

قائلاً ، واتجه نحو الصخور الأمامية ، فأشارت

(جيهان) إلى البروفيسير ، وهي تسرع للحاق

به (أدهم) ، قائلة :

- انتظرونا هنا يا بروفيسير ، وسوف

توقف (أدهم) بغتة ، والتفت إليها في صرامة ، قائلاً :

- قلت : انتظرائي أيتها الرائد .

قالت في عصبية :

- وما الذي يمنع ذهابنا معاً يا سيادة العميد ؟!

مال نحوها ، وتطلع إلى عينيها مباشرة ، وهو

يقول في صرامة أشد :

- إنه في هذه الحالة ، لن يكون لدينا خط دفاع ثان

أيتها الرائد . ثم إن الأسلوب الذي تدرّبت عليه ،

ونلت من أجله شرف العمل في صفوف المخابرات

المصرية ، يحتم عليك طاعة أوامر رؤسائك ، دون

أدنى مناقشة .. أليس كذلك ؟

تطلعت إلى عينيه لحظة في صمت ، قبل أن تجيب
في برود ، ولهجة رسمية جافة :

- بلى يا رئيسي المباشر ، ولكننى أتبع خطى
سيدتي . عندما تجاهلتم أوامر الرؤساء ، وسافرتن
لنثار من فريق قتل باباتي (*) .

انقر حاجباه في غضب صدم ، إلا أنها أدت التحية
العسكرية بشكر مبالغ ، ودارت على عقبيها ، كما
يفعل الجنود انظميون . ثم قالت للبروفيسير في حزم :
- هب يا سيدى البروفيسير سننفذ أوامر الرئيس
المباشر .

وجذبت البروفيسير إلى المخبأ أسفل الصخرة ،
وهو ينقر بصره بينهما في دهشة . ثم عادت تدور
على عقبيها على نحو عسكرى . وعقدت ساعديها
أمام صدرها ، وهى تضم شفتيها وحاجبيها في غضب ،
فهزّ (أدهم) رأسه ، متمتعا :

- يا للنساء !

(*) راجع قصة (اعتال) المعمورة رقم (١١٠)

ثم انطلق نحو الصخور الاممية ، وراح يتسلقها
في خفة وسرعة ، وابتسامه كبيرة تتكون في اعماقه
صحيح أنه يتعامل مع (جيهان) دائما بصرامة
شديدة ، إلا أنه يشعر في اعماقه بالكثير من الإعجاب
تجاهها ..

ليس إعجاب اذكر بالاثني ، وإنما إعجاب القائد
بأحد جنوده المتألقين ..

إعجاب رجل مخبرات محنك سابق ، يتميذ يثبت
نبوغه وتفوقه في كل مهمة جديدة
انقلبت ابتسامته بسرعة إلى شفتيه ، ووجد نفسه
يكرّر ولهجة أقرب إلى المزح هذه المرة
- يا للنساء !

لم يكذب عبارته ، وهو يبلغ قمة الصخور ،
ويستقبل الرياح في وجهه ، حتى تنأى إلى مسامعه
بغثة هدير مروحة الهليوكوبتر الكبيرة ، و ..
وفجأة ، برزت الهليوكوبتر من خلف أحد الجدارين
الصخريين لنمر ، وهى تنطلق نحوه مباشرة
وكان من الواضح أن قائدها قد رآه هذه المرة ..
وبمنتهى الوضوح ..

٥ - مواجهة ..

شعر البروفيسير (بولاتسكى) بصداع شديد يكتنف رأسه ، وهو يستعيد وعيه فى ببطء ، داخل طائرة خاصة ، تحلق به فوق المحيط الهادى ، ففتح عينيه فى صعوبة ، مغمغماً :
- أين أنا ؟

أته صوت خشن جاف من خلفه ، يقول :
- هل استعدت وعيك أخيراً ؟

التفت البروفيسير فى ذعر وانزعاج إلى مصدر الصوت ، وحذق فى رجل قوى ، متين البنيان ، يجلس على المقعد الواسع خلفه مباشرة ، ويرمقه بنظرة صارمة قاسية ، جعلته ينكمش فى المقعد ، مكرراً :

- أين أنا ؟

أطلقت ضحكة ساخرة من عيني الرجل ، وهو يميل نحوه ، قائلاً :

- هل ترغب فى العودة إلى معتقل (سيبيريا) ؟

صرخ البروفيسير :

- لا . لا . إبنى أفضل الموت على العودة إلى ذلك الجحيم .

ضقت عينا الرجل ، وهو يسأله بلهجة مخيفة .
- حقاً ؟

ارتجف جسد البروفيسير ، من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ، وهو يقول :
- ما .. ماذا تعنى ؟

تضاعفت تلك الضحكة الساخرة فى عيني الرجل ، وانتقل جزء منها إلى شفثيه ، وهو يميل نحوه أكثر ، ويتطلع إلى عينيه مباشرة ، ويقول :
- هل تفضل الموت حقاً ؟

اتسعت عينا البروفيسير (بولاتسكى) فى ارتياح ، وهو يقول :

- ماذا ستفعل بى ؟ إلى أين تأخذنى ؟

لاذ الرجل بالصمت بضع لحظات ، بدت للبروفيسير أشبه بالدهر ، قبل أن يتراجع الرجل فى مقعده ببطء ، ويلوح بيده ، قائلاً :

- أعتقد أنك أمام فرصة عمرك يا بروفيسير .

جاءت العبارة مباحثة تماما بالنسبة للبروفيسير ،
فاتسعت عينه في دهشة بالغة ، وارتفع في مقعده ،
وهو يكرّر :

- فرصة عبرى .

أجابه الرجل :

- سالكيد يا بروفيسير فرجل مثلك ، كان يواجه
مصيبرا مظلما ، في قبر ثلجي كذلك الذي انتزعناك
منه في (سيبيريا) ، يكون محفوظا للغاية ،
عندما يسند إليه عمر جاد ، بالغ الخطورة ، يعود
به الى مهاراته وخبراته السابقة ، في الهندسة
النووية .

حدق البروفيسير في وجهه بشيء من الذهول ،
قبل أن يهتف بهتة شديدة .

- ما الذي تقصده يا رجل ؟! أخبرني بالله عنك .
أريد كل التفاصيل .

ارتسمت ابتسامة ظافرة على شفתי الرجل ، وهو
يقول :

- لا تتعجل الحصول على التفاصيل يا بروفيسير ..
كل شيء سيأتى في وقته بالضبط

تهنئت اسارير لبروفيسير ، بولاسكى) . وهم
يقول شيء ما . الا انه لم يثبت ان عاود الاتكماش
في مقعده بفترة ، وهو يغمغم :

- ولكن ... ولكنهم لن يسكتوا عن هذا .

سأله الرجل :

- ومن هؤلاء ؟!

أشار البروفيسير اسريرة مبهممة بسدائنه ، وهو
يغمغم في دعر ملحوظ ، وبصوت مرتجف للغاية
- الكونونيل ورجاله اعلى أولئك في الـ . في
(سيبيريا) .

سأله الرجل ، بلهجة شبه ساخرة :

- وما الذى لن يسكتوا عنه ؟!

هز البروفيسير كتفيه ، وازدرد لعابه في صعوبة .
وارتت بعض انوفت ، قلل أن يحيب بنفس الصوت
المرتجف :

- فرلوى من المعتقل .

هتف الرجل في سخرية :

- فرلوك ؟!

تم انفجر ضحكا بشدة ، على نحو أدهش

البروفيسير ، الذى ظل يحدق فيه ، حتى انتهى من ضحكاته ، فهتف به محققاً :

- ما الذى يضحكك بالله عليك ؟!

عد الرجل يميل نحوه ، ويتطنّع إلى عينيه مبشرة ، قائلاً :

- لا أحد يغدر معتقل (سيبيريا) حياً يا بروفيسير .
بذت دهشة عارمة على وجه البروفيسير (بولانسكى) ، وهو يقول :

- ولكننى على قيد الحياة بالفعل !

هز الرجل رأسه نفياً فى بظء ، قبل أن يجيب :

- ربما كان هذا صحيحاً فى عالم الواقع
يا بروفيسير ، ولكنه ليس كذلك فى كل السجلات الرسمية ، وخصوصاً تلك التى يراجعها المسئولون فى (سيبيريا) فمن الناحية القانونية ، قمت أنت بتمرد ، استوجب إعدامك ، ودفنت فى الثلوج .

ظل البروفيسير مندهشاً مبهوئاً بضع لحظات ، قبل أن يشير إلى نفسه ، قائلاً بصوت مرتجف :

- إذن فأنا الآن .. أنا .. أنا ..

قاطعه الرجل :

- حر يا بروفيسير نعم أنت الآن حر تماماً

ونيس هذا فحسب ، وإنما لم يعد لك أى وجود رسمى فى عالم الأحياء ، وهذا يعنى أن احداً لن يبحث عنك ، وأنت ستتعلم طويلاً بحياتك الجديدة

تأثقت عينا البروفيسير ، وهو يعود للخلوس فى مقعده ، مرئداً :

- إذن فأنا حر .. حر

ثم فجأة ، قفز إلى ذهنه سؤال جديد ، أعاد إليه معظم قلقه وتوتره ..

ما طبيعة تلك الحياة الجديدة ، التى يتحدث عنها الرجل ؟!

وعندما أتقى هذا السؤال الجديد على الرجل ، لم يحصل منه على جواب قط ..

ولم يكن أمامه ، والحال هكذا ، سوى أن يجلس صامتاً فى مقعده ..

وأن يفكر ، ويبحث ، و ..

ويقلق ..

وبشدة ..

★ ★ ★

قد (يورى اندروفيتش) الهنيوكوستر فى مهرة
مدهشة ، عبر ممر (بيبجرو) ، على الرغم من
الرياح القوية ، فى مرحلة الحسار العصفية ، وعدم
نمح لانهيارين الصخريين . راح يدور حولهما لفترة ،
حتى سألته (كوادروس) :

- هل تلمح شيئا هنا أيها القائد ؟!

صمت الروسى بضع لحظات ، قبل ان يجيب
بلهجته الجافة الباردة :

- من الواضح انك المسندة قد تعرضت لانهيارات
الصخرية أكثر من غيرها .

سأله (كوادروس) ، وهو يمد بصره ، محاولاً
إلقاء نظرة واسعة على المكان :

- وما الذى يعنيه هذا ؟!

مط (اندروفيتش) شفتيه ، وغمغغ .

- لا يعنى شيئاً .

ثم دار بالهنيوكوستر دورة احيرة ، وانطلق مبتعداً ،
ليواصل فحص باقى الممر ..

ولكن شيئاً ما فى أعماقه لم يتغير بالارتياح قط
هذه شىء ما فى منطقة الانهيارات ، لم يرق له قط .

، شىء رآه ، أو لمحه ..

أو حتى شعر به ..

المهم ان حسنه الحبيزة لم تهدأ ، منذ ابتعد
عن منطقة الانهيارات ..

لذا ، فقد عاد يدور بالهنيوكوستر ، قبلاً فى
صرامة :

- منعود إلى هناك ..

تسار الرجل نظرة متوترة ، بفشها عيوبهم إلى
(كوادروس) ، الذى حولها إلى كمنبت وصحة ،
وهو يقول للروسى :

- لماذا أيها القائد ؟

أجابه (اندروفيتش) فى صرامة ، وهو ينطق
بالهنيوكوستر ، عائداً إلى منطقة الانهيارات السابقة .

- لأننى أريد هذا !!

تسار الرجل نظرة متوترة اخرى ، وانقبضت
اصابعهم أكثر وأكثر على مدافعهم الآلية ، وتركوا
قائدهم ينطلق بالهنيوكوستر ، و ...

وفجأة ، نمح (اندروفيتش) (أدهم) ، على قمة
الصخور الأمامية ، فتألفت عيده بشدة ، وتحفزت كل

خلية في جسده ، وهو يهتف :

- ها هو ذا .

ومع هتفه ، ضغطت سببته زر أحد المدافع الآلية .

وانطلقت الرصاصات في غزارة نحو (أدهم)

وكرّجل مخابرات سابق ، كان من السهل على (يورى اندروفيتش) ان يقود اية هليوكوبتر حربية .

وان يصيب برصاصاتها فرا يعدو بين أعواد الذرة

ولكن الهليوكوبتر انتهى يقودها لم تكن حربية

والمدافع الآلية لم تكن متقنة ..

لذا ، فقد أحطت رصاصاته كلها (أدهم)

والواقع أن هذا لم يكن السبب الوحيد للخطأ ، وإنما

كان هناك سبب آخر أكثر قوة وأهمية

(أدهم صبرى) نفسه ..

ففى اللحظة التى لمح فيها بطننا الهليوكوبتر ،

وهى تدفع نحوه ، صاح بكل قوته :

- لا تغادرا مكنكما .

تحركت (جيهان) فى دهشة عصبية ، قائلة :

- ولماذا ؟!

قبل حتى أن تكتمل كمنتهها ، كانت رصاصات الهليوكوبتر تنطلق ..

وكان (أدهم) يثب فى خفة ، إلى الجانب الآخر للصخور .

وعنى الرغم من إصاباته المولعة ، لم يكد (أدهم) يهبط على ارضية الممر ، حتى دفع جسده إلى الامام ، وانطلق يعدو بكل قوته ..

واستدارت الهليوكوبتر ، لتتطلق خنقه

وفى زعر ، هتفت (جيهان) ، وهى تعدو نحو الصخور :

- ماذا حدث ؟ أين ذهب (أدهم) ؟!

صاح بها البروفيسير (ماتهيم) فى زعر :

- إلى أين ؟! لقد طلب منا ألا نغادر مكننا قط !

تجاهلته (جيهان) تماما ، وهى تواصل العدو نحو الصخور ، وقبها يخفق فى عنف ، ولساتها بقول فى هلع :

- رباه ! ماذا أصابه ؟! ماذا أصابه ؟!

فى نفس اللحظة ، انتهى نطقت فيها كلماتها المذعورة ، كان (أدهم) يعدو بكل قوته ، عبر الممر

الوعر ، و (اندرو فيتش) ينصق خلفه بشهيق كوستر .
قائلا في غضب :

— النفس ! أولئك الأوغاد ، الذين ستجرتهم
ب (كوالروس) ، افسدوا الأمر تماما المدافع الآلية
غير مصوبة إلى الأهداف جيدا .

كثت عبرته تنطلق ، وهو يضعط اررار المدافع
الآلية الأربعة في أن واحد ، والرصاصة تنهال
منها كمنطر ، خلف (الهم صبرى) ، الذي
واصر العدو عبر الممر ، وهو يسبغ في
دهشة ، كيف لم ينجح مطر ذوو في الصبغة . حتى
هذه اللحظة !؟

لم يكن الممر سهلا أو ممهدا ، ولكنه لم يحفز
سرعته لحظة واحدة ..

كان يتب عبر كل عقبة تعترض طريقه ، أو
بذر حولها ، ويتجاوزها واحدة بعد الأخرى ،
مستعبدا خبراته السابقة ، بيد أنه — في الثوب
الخاصة (*) .



وعلى يد علم من صدمته الموهبة ، لم يكن (هم) يهبط على أرضية
الممر ، حتى دفع جسده إلى الأمام ، وانطلق العدو كبر ثوبه

(*) . ارجع لفصل (الخطوة الأولى) المصرد ١٠٥ ، ١٠٦

خبرات حرب الاستنزاف .. (*) .

وحرب أكتوبر المجيدة .. (**) .

ونكنه في أعماقه ، كل يعلم أن كل مقومته هذه محدودة ، مهما يذل من جهد ..

صحيح أن الهليوكوبتر التي تطارده ليست حربية ، ومدافعها الآلية لم يتم إعدادها على نحو جيد ، كما يبدو واضح ، إلا أن قاذوها محترف حتماً ، كما يشير أسلوب قيادته لها ، وهذا يعني أنه لن يلبث أن يتبين زاوية انحراف رصاصات المدفع الآلي ، ويعيد التصويب ، مع هامش الخطأ ، و ..

(*) حرب الاستنزاف بعد نكسة عام ١٩٦٧ م ، بدأت (مصر) في إعداد جيش قوى ، تمهيداً لشن حرب تأريية ، واسترداد الارض المسببة ، من العدو الإسرائيلي ، وعندما اكتملت عملية الإعداد من مهبها ، سميت (مصر) ما يطلق عليه اسم حرب الاستنزاف ، حيث راح جنود يعبرون الى الضفة الشرقية ، ويشتركون مع العدو في قتالات محدودة ، ثم يعودون إلينا منتصرين .

(**) حرب أكتوبر المجيدة . في السادس من أكتوبر ، عام ١٩٧٣ م ، انطلقت الطائرات المصرية لتدك حط (مارليف) ، أقوى حصون العدو الإسرائيلي ، ومعها عبر جوياب ثلة (سويح) ، لتحقيق انتصارهم على الإسرائيليين . في حر الحروب بيننا وبينهم .

وينسفه برصاصاتها لسفناً ..

ثم إن لديه ما هو أخطر من الرصاصات

الصاروخان الموجهان ..

والعجيب أنه في نفس اللحظة ، التي انطلقت فيها هذه الفكرة الأخيرة ، في راس (أدهم) ، كان (أندروفيتش) يضغط زر أحد الصاروخين ، قذلاً .
- فليكن أيها الرفيق (أدهم) الرصاصات أخطأتك ، ولكن الصاروخ لن يفعل حتماً .
وبكل قوته ، ضغط الزر ..

وانطلق الصاروخ ..

وعلى الرغم من أنه لم يلتفت خلفه ، أو يتوقف عن العدو لحظة واحدة ، إلا أن (أدهم) قد شعر بانطلاق الصاروخ ، في نفس اللحظة ، التي انفصل فيها عن الهليوكوبتر ..

أذنه التقطت صوت انطلاق محركه ، وميزته عن هدير الهليوكوبتر ، وأدرك أنه ينطلق نحوه مباشرة .
وبكل قوته ، وبوثبة رائعة مذهشة ، تجاوز أربعة أمتار دفعة واحدة ، ليهبط خلف صخرة ضخمة ، من تلك الصخور ، التي سقطت وسط العاصفة

وفي السخط ، شمس تقريبا ، ارتطم الصرور
بأرض

وانحدر في سبيل

ومن المؤكد انه انقلب مع تصور (ادم) كغير
ربما ان انحصار حدث داخل ممر جنسي .
فانحصرت موجة الضغط النشئة منه ، بين الجدارين
الضيق ، وانحصرت فيها عبر الممر بكن قوتها . حتى
انها دفعت الصخرة الضخمة ، التي يخلفها خلفها
(ادم) ، فتخرج بحود . وكانت تسحقه سحقا ،
مع ضغطه من وقع على اذنيه ، التين كدت تفجران
في عنق ..

وسرعاء استجابته لمعهودة ، وعلى الرغم من
عنق الانفجار ، فخر (ادم) بجسده كنه الى الخلف ،
وسقط على ظهره ، والصخرة تتدحرج نحو
وتحصر دسها بين جدار الصخرى للممر .
وفي اثناء ، تردد دوى الانفجار عشرات المرات ،
وبدا رثته قد اسفل الى عمق مخه نفسه .

ولم يبق له من العمر ، ظهرت انهيوكوبتر ادم عينيه ،
وهي تفتش عليه مرد احزى في سراسه ، وبدا حثها

(اندروفيتش) يهتف في حماس :

- ها هو ذا .. لقد ظفرنا به يا رجل .

حون (ادم) ان ينهض ، ويواصل العدو عبر
الممر ..

ولكن كانت بانتظاره مفاجأة ..

لقد انحسرت قدمه اليسرى ، بين الصخرة
الضخمة ، والجدار الصخري
صحيح انه يستطيع ان يراها من مكانها هذا ،
بشيء من العناية ..

ويكن من سيمحه الوقت اللازم لهذا ..

لقد انقصر (اندروفيتش) بهنيوكوبتر كنسر
حارج ، وضغط ازار اطلاق مدفعه الرشاشية الاربعة
في واحد ، وهو يصط زوية التوجيه بمنتهى
الدقة كمحترف ..

ولم بعد هناك مخرج له (ادم صري) من هذا
الممر

ان مخرج

تتأهب عتلم الذرة (دى مال) فى إرهاق شديد .
وهو بدلف الى حجرة الاجتماعات الصغيرة ، داخل
المفاعل النووى الخاص ، الذى أعدته السنيورا ، فى
قلب جبر (بوليفيا) ، وتطلع فى شمس من التوتير
إلى زميليه (جوليهى) و (استروتيسكى) ، اللذين
احضرا مقعدين من مقاعد المائدة ، قائلا :

- إذن فقد استيقظتما مبكرين أيضا .

استار اليه (استروتيسكى) ، وهو يقول :

- ثلثا نسطر السنيورا يا زميلى العزيز اظنها
وجهت الدعوة اليك ايضا ، لحضور هذا الاجتماع
المبكر .. أليس كذلك ؟!

اجابه (دى مال) فى عصبية ، وهو يجذب أحد
مقاعد المائدة :

- الدعوة ؟! هل تخدع نفسك يا رجل ، أم أن هذا
نوع من المزاح السخيف السمج ؟! السنيورا لا توجه
الدعوات لأحد ، ولكنها تصدر الأوامر للجميع ،
ولا تتوقع الرفض مطلقا .

تهد (جوليهى) ، ورفع عينيه إلى زميله ، قائلا :

- وهل يصنع هذا فارقا ؟!

هز (دى مال) رأسه نفيا ، وهو يثقى جسده على
المقعد ، قائلا :

- كلا .. للأسف ..

تتهد (جوليهى) ثانية ، وقال :

- فلنتجاهل الأمر إذن .

عض (دى مال) شفته السفلى فى قهر ، وهو
يفهم :

- نعم أنت على حق مناقشة الأمر عمر عقيم ،
فنحن هنا بالفعل ، وليس أمنا سوى طاعة أوامر
السنيورا ، دون أدنى مناقشة .

لم يكذ يتم عبارته ، حتى ارتفع صوت السنيورا فى
المكان ، وهى تقول فى صرامة مخيفة :

- قرار حكيم يا دكتور (دى مال) .

استدار الثلاثة إليها فى انزعاج مذعور ، وهب
(استروتيسكى) واقفا ، وهو يقول بصوت مرتجف :

- صد .. صباح الخير يا سنيورا .

كانت تقف بالباب ، فاتنة كزهور الربيع ، متألقة
كشمس الصباح ، ساحرة ، جذابة ، و
ومخيفة ..

لا احد يدري كيف تجمع بين كل هذه الصفات هي
آن واحد !!

كيف يمكن ان تكون فاتنة ومخيفة !

راقية وشرسة ..

ناعمة وقاسية ..

كيف !

نقد وقعت بالياب ، تفت دحن سيحارتها في بطن ،
وتدير عينيها الجميلتين في وجوههم في صرامة
قاسية مخيفة ، جعلت قلب (دي مال) يرتجف بين
ضلوعه ، وهو يقول في ارتباك شديد :

- معذرة يا سنيورا .. انني لم أقصد أن ..

قطعت في صرامة ، وهي تدلف الى حجرة
الاجتماعات في بطن مخيف :

- لا تعتذر يا دكتور (دي مال) .. كلماتك كانت
صحيحة تماما .

واتخذت مقعدها على راس المائدة ، ودارت عينيها
في وجوههم ، قبل ان تنزع في صرامة اكثر

- انتم بالفرنسيين ، وليس امامكم سوى طاعة
اوامري ، دون ادنى مناقشة .

تبادل الرجال الثلاثة نظرة متوترة ، ولكنها تابعت
بسرعة :

- ولكن هذا لا يعني انكم اسرى .

بدت الدهشة على وجوههم ، ولكن احدهم لم ينبس
ببنت شفة ، فاستطردت :

- يمكنكم اعتبار انفسكم اعضاء في شركة عالمية
جديدة ، شركة تسعى لفرض سيطرتها على العالم
الجمع ، وامتلكت ناصيته العسكرية والاقتصادية ، وأن
تجتاح شركة كهذه ، يعني نجاحكم ايضا ، ووضعكم
على قمة العالم .

نضت عفت دهشتهم ، وتبادلتوا نظرة اخرى اكثر
توترا ، قبل ان يمتدح (استروتيسكي) شجاعته ،
ويقول :

- سنيورا .. هل يمكنك أن توضحى لنا الامر اكثر !
ارتسمت على شفيتها ابتسامة عجيبة ، وهي تقول
- بالتأكيد ..

ثم التقطت نفس عميقا اخر من سيحارتها ، قبل ان
تقول في هدوء :

- افتحوا اعينكم جيدا ايها السادة ، وستدركون اننا

على اعتاب قرن جديد ، يقرب منا فتحاً ذراعيه ،
وواعداً بثورة اقتصادية هائلة ، وتطورات عسكرية
بلا حدود . قرن اما أن نلحق به ، أو نهوى في
أعماق التحنن الحضاري الى الابد . والنحاق بعصر
كهذا لا يحتاج الى المال والتكنولوجيا وحدهما ، وإنما
إلى القوة أيضاً . القوة التي تمنحك حق السيطرة
وإصدار القرار ، وتوجيه المسار الاقتصادي إلى
الطريق ، الذي يخدم مصالحك وحدها ، ويحقق لك
ثروات رهبة هائلة ، لا يمكن لأحد مجرد تخيلها

واسترخت في مقعدها بابتسامة متلذذة ، وهي تدير
عينها في وجوههم ، وكأنما تستمتع بقراءة تأثير
كلماتها عليهم ، قبل أن تتابع :

- ولأننا نسعى للفوز بتغنيمة كنها ، فقد قررنا
إعداد كل ما يمكن إعداده ، للسيطرة على القرن
القدام ، وفرض نفوذنا الاقتصادي والعسكري عليه ،
وبناء عرشنا على قمته ، منذ اليوم الأول من أيامه .
تنهد (دى مال) في توتر شديد ، ولوح بكفه ،
قائلاً :

- سيورا . ما شأنا بهذه المقدمة الفلسفية بالتضبط ؟!

تطنعت إليه السنيورا لحضة نظرة ساحرة ، ثم
لم تثبت أن انفجرت ضاحكة ، وراحت تفهقه بصوت
مرتفع ، على نحو جعل الرجال الثلاثة ينكمشون في
مقاعدهم ، ويتبادلون نظرات خافة مقهورة ، حتى
انتهت ضحكات السنيورا ، وقالت :

- يا له من سؤال ! أتسألني ما شأنكم بهذه
المقدمة الفلسفية يا دكتور (دى مال) ؟ إنكم جزء
منها يا رجل .. بل الجزء الاساسي فيها ، وإلا فما
نوع القوة التي نتحدث عنها إذن ؟!

سألها (استروتيسكي) مبهوراً :
- هل تصنعين القنابل الذرية ؟ للسيطرة على
اقتصاد العالم ؟!

ضربت سطح المائدة بقبضتها ، هاتفة .
- بالتأكيد .

ثم جذبت نفسها آخر من سيجارتها ، متابعة في
حماس :

- في عصرنا هذا ، لم يعد هناك فارق كبير ، بين
السيطرة الاقتصادية والعسكرية . بل إن الدول
الكبرى تستعمر الدول الاصغر عن طريق السيطرة

الاقتصادية . التي تثمر الكثير من المتسبب والارواح .
على عكس السيطرة العسكرية . التي تستفز الشعوب .
وتستفز حماسها وغضبها . وتحصد الخسائر المادية
والإنسانية بلا حدود . ومن هذا المنطلق ، ادركنا ان
الوسيلة المثلى للسيطرة على اقتصاد العالم ، هي
ارهابه بضربات عسكرية عنيفة ، وغير منقوعة

تتم (دي مال) :

- بالقتال الذرية ؟!

ادارت عينيها اليه في بقاء ، واهبت في حزم
- بالضبط

ثم مالت نحوه ، مستطردة :

- ولكن لا تجعل هذا يقتلك كثيرا ، فانقذ الذرية .
التي سيتم إتجاهها ههنا . ستكون مجرد محزون
استراتيجي ليس أكثر . وكل ما نحتاج اليه لاجتبات
قوتنا ، هو قسنة واحدة . او قسنتان على أقصى تقدير

قال (دي مال) في توتر :

- هل تعلمين كم من الأسر سينقون حلقهم ، من

جراء إلقاء قنبلتين ذريتين ؟!

رفعت أحد حاجبيها ، قائلة :

- وماذا لو أخبرتك ان شخص واحد ان ينفي

حلقه ، بسبب قنبلتنا الذرية ؟!

قال في عصبية :

- مستحيل !

أجابته بسرعة :

- بل هو أمر طبيعي يا دكتور (دي مال) . كل

الدول تحرق تجاربها النووية ، دون أن تقتل أحدا ،

فهي تحرقها في قلب المحيطات ، أو في أعماق

الصحاري (*) وهذا ما سنفعله بالضبط

انقذ حاجبا (دي مال) ، دون ان ينبس ببنت

شفة . فتراجعت أسنينا ، وعينها الجميلتان

تحملان نظرة ظافرة ، وهي تديرهما في وجوه

الجميع ، متابعة :

- ومن المؤكد أن تعاونكم معنا لن يتم بلا مقابل

بدت انلهفة في عيني (استروتيسكي) ، وهو

يسأل :

- حقا يا سنيورا .. حقا ؟!

(*) حقيقة .

أومات براسها ايجب ، وقتت في بطاء مشير .

- عندما يتحقق لنا النصر ، ونسيطر على العالم
عسكري واقتصاديا ، سيحصل كل منكم على ..
وصمتت لحظات : لتشهد النهضة في عيونهم ، قبل
أن تكمل :

- على عشرين مليوناً من الدولارات .

سهق (استروتيسكى) في قوة ، واتسعت عينا
(جونهر) في شدة ، في حين انعقد حاجبا (دى مال) ،
وهو يغمغم :

- عشرون مليوناً دفعة واحدة ؟!

ابتسمت السنيورا ، وأجابته :

- عدداً ونقداً يا دكتور (دى مال) .

ازداد انعقد حاجبى عالم الذرة الفرنسى ، في حين
هب (استروتيسكى) يصفحها في حرارة ، قائلاً :

- اعتبرينى أحد رجالك يا سنيورا .

وتبعه (جولهر) في حماس :

- وأنا رهن إشارتك .

أما (دى مال) فتتمتم في خفوت :

- ليس أمامى سوى القبول يا سنيورا ، ولكن

اعتدلت في مقعدها ، لتسانه في توتر

- ولكن ماذا ؟!

أشار بيده إشارة عصبية ، قائلاً :

- ما زال ينقصنا خبير الهندسة النووية .

تألفت عيناها ، وهي تعود إلى جلستها المسترخية ،

وتنفث دخان سيجارتها ، قليلة

- اطمئن يا (دى مال) . خبير الهندسة النووية

في طريقه إلى هنا .

وترافقت على شفيتها ابتسامة عابثة مزهوية ،

وهي تتابع :

- وسنبداً في إنتاج قنابلنا النووية بعد خمس

ساعات بالضبط .

قالتها وتألفت عيناها أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

فجأة ، انطلقت ثلاث رصاصات نحو الهنيوكوبتر ..

كان (أندروفيتش) قد صوب مدافعها الآلية

الأربعة نحو (أدهم صبرى) ، الذى يجاهد لانتزاع

قدمه من بين الصخرة الضخمة وجدار العمر .
وراعى راوية الحظ هذه المرة ، بحيث يضمن اصابته
مباشرة ، و ...

وانطلقت تلك الرصاصات الثلاث ..

انطلقت كلها نحو مروحة الهيوكوبتر الخفيفة ،
وصبته برين مرتفع ، وعلى نحو اختل معه توازن
الهيوكوبتر لحظة ، انطلقت خلالها رصاصات مدافعها
الاربعة ، بزاوية جعلتها تنطلق كلها نحو جدار العمر
الصحري ، وليس نحو (ادهم) ، الذى هتف فى
اتزعاج :

- ريد ! (جيهان) المجنونة كشفت موقعها

ام (اندروفيتش) ، فقد صرخ فى غضب :

- اللعة !.. من فعل هذا ؟!

لم ينتظر رجاله ليجيبوا سوائه ، وانما هبوا
بصلفون رصاصات مدافعهم الانية نحو (جيهان) ،
التى تقف على قمة الصخور الاممية .

وقبل ان تثب (جيهان) من مكانها ، اخترقت
رصاصة من رصاصات المدافع الانية كتفها الايسر ،
وانتزعتها من مكانها ، لتلقى بها عند قدمي

البروفيسير (متهايم) الذى صرخ فى ارتياح ، وهو
يعدو فى كل مكان بلا هدف :

- لقد كشفوا وجودنا . كشفوا وجودنا .

وفى الهيوكوبتر ، هتف (كوانروس) :

- انها زميلته النعينة . دعنا نعد لنسحقها سحقاً
ايها القائد .

زمجر الروسى فى غضب ، وهو يراقب (ادهم) ،
الذى انتزع قدمه من بين الصخرة والجدار ، وعاد
يعدو عبر العمر ، وهتف محنقاً :

- فيما بعد . سنقضى عليها فيما بعد . انهم ان
نظفر بذلك الرجل أولاً .

انطلق بالهيوكوبتر مرة أخرى خلف (ادهم) ،
الذى لهث فى شدة ، مع الام إصابة فخذه وصدره ،
وهو يغمغم :

- عظيم . لقد حدث ما توقعته ، وفضلوا مطاردتى ،
بدلاً من العودة لقتل (جيهان) .

لم يكن يدرى أين يمكنه الذهاب هذه المرة ، فقد
بدأ له ذلك الجزء من العمر أكثر تبساطاً ، لا يعانى
انهيارات صخرية ، او بروزات يمكن الاحتماء خلفها .

فقط شجيرات صغيرة ، نمت من قلب الصخور ،
وتناثرت في كل مكان تقريبا ..

والهنيوكوبتر تطرده في إصرار وشراسة .
ونيراتها تنطلق خلفه مرة أخرى ..

وفي حماس ، هتف (كوالروس) داخل الهنيوكوبتر :
- الصاروخ الثاني اطلق نحوه الصاروخ الثاني
أيها القائد .

انعقد حاجبا (أندروفيتش) ، وهو ينخفض
بالهنيوكوبتر ، قائلا :

- أول اقتراح ذكي ي (كوالروس)

كان (أدهم) يجرى بأقصى قوته ، نحو منحني
حاد من منحنيات الممر ، فاتدفع الروسي بالهنيوكوبتر
خلفه ، وهو يضع سبابه على زر إطلاق الصاروخ ،
مغمفا :

- وداعا أيها الأسطورة .

ودار خلف (أدهم) في المنحني ، وضغط زر
إطلاق الصاروخ ..
وبكل قوته .

★ ★ ★

٦ - رائعة الصوت ..

أطنت سعادة عارمة ، من كل خلجة من خلجات
والدة (منى) ، وهي تفرغ حقيبة هذه الأخيرة في
منزلها ، قائلة :

- حمدا لله على سلامتك يا بني . كم نحن
سعيدان لعودتك إلى المنزل .. هل رأيت كم بكى والدك ؟
غمغمت (منى) :

- إنه يشعر بالعجز : لأن مرضه كان يمنعه من
زيارتني بالمستشفى .

تهذت أمها ، قائلة :

- ويمنعني من هذا أيضا يا عزيزتي .

ثم احتوتها بين ذراعيها ، وطبعت على وجنتها
قبلة حانية ، مستطردة :

- ولكنك عدت إلينا الآن ، ولن نفترق مرة ثانية
أبدا .

ابتسمت (منى) في شروود ، جعل أمها تتطلع إليها
في حيرة ، ثم تسألها في تردد :

- هل قابلت (عمدة) ؟

السمت إليها (منى) بنفس الشروع ، قبل أن تقول
فى توتر :

- نعم .. قابله يا أمى .

بدا شىء من الارتياح على وجه الأم ، وهى تقول :

- إبه بحبك كثيراً ، و

انعقد حجباً (منى) ، وهى تقاطعها فى ضيق :

- أمى . لا داعى لمناقشة هذا الأمر الآن

قالت أمها فى حيرة :

- ولم لا " لقد شفيت والحمد لله ، والعمر يمضى

بك ، وزميلك (أدهم) هذا لن ..

قاصعتها فى عصبية هذه المرة :

- ليس الآن يا أمى . ليس الآن بالله عليك .

ثم هزت رأسها فى قوة ، مضيفة :

- ثم إننى لم أشف تماماً بعد . كل ما فى الأمر أن

تلك الفترة من العلاج لم تعد تستلزم البقاء فى

المستشفى

قالت الأم فى صبر .

- (عمدة) يمكنه أن ينتظر

قالت فى حدة .

- فلينتظر إذن .. هذا شأنه .

قبتها ، وهى تنتقط سماعة الهاتف بحركة عنيفة .

فسألتها أمها فى قلق :

- من متحدثين ؟!

أجابتها فى توتر :

- الإدارة .

سألتها فى دهشة :

- هل عدت للعمل ؟!

أجابتها (منى) فى ضيق واضح :

- ليس بعد . إننى أتحدث إلى (قدرى) فحسب

نصاعفت دهشة أمها ، وهى تقول :

- (قدرى) ؟! ألم يوصلك إلى هنا منذ قليل ؟

ثم تجب (منى) هذه المرة ، لأنها لم تكد تسمع صوت

(قدرى) ، حتى نسيت كل ما حولها ، وسألتها فى لهفة :

- هل من أخبار جديدة ؟!

أجابها فى ضيق واضح :

- كلا ، ولكن المراقبين هناك يؤكدون أن كل

الظواهر لا تبشر بالخير .

شحب وجهها ، وهي تقول :

- يا إلهي !.. (أدهم) .

حمل صوت (قدرى) إليها رغبته فى البكاء ،

وهو يقول :

- لست أدري ماذا أفعل ، من الواضح أن الأمور

شديدة الخطورة هناك ، والكل هنا متوتر للغاية ،

ولكن أحدا لا يفصح عن أى شيء .

صمتت (منى) بضع لحظات ، وعقنها يعمل

بسرعة مدهشة ، قبل أن تقول فى حزم :

- اسمعنى جيدا يا (قدرى) ، قدى فكرة مجنونة .

غمغم فى توتر :

- كلنى آذان مصفبة .

وخفق قلب الأم فى ذعر وانزعاج ، عندما راحت

(منى) تروى ما لديها لـ (قدرى) ..

فقد كانت فكرتها بالفعل مجنونة ..

للفتاة ..

كل شيء كان ملائم تماما لقتل (أدهم صبرى) .

الهنوكوبتر تطارده فى شراسة ، والصاروخ

مصوب إليه بدقة ، و (أندروفيتش) لا يمكن أن

يخطئ الهدف ، من هذه المسافة القصيرة

وحتى لو فعل ، فإن انفجار الصاروخ داخل المعر ،

كان كفيلا بقتل (أدهم صبرى) ، وسحقه سحقاً .

حتى ولو انفجر على مسافة مائة متر منه .

ونقد ضغط الروسى زر إطلاق الصاروخ بالفعل .

وبكل قوته ..

ولكن عملاً واحداً أفسد كل هذا الترتيب المنطقى ..

أن الصاروخ لم ينطلق ..

لقد ضغط (أندروفيتش) الزر ..

وضغط ..

وضغط ..

ولكن الصاروخ المتبقى فى الهنوكوبتر لم ينطلق

قط ..

وبكل الغضب والثورة ، حطم (أندروفيتش) ذلك

الغطاء الجئدى المحيط به ، وهو يصرخ :

- لا .. اللعنة !.. اللعنة !

فى اللحظة نفسها ، كان (أدهم) يدور فى ذلك

المنحنى الحاد للمعر ، وهو يسأل نفسه لاهثاً :

- عجباً ! لماذا لم يظن هؤلاء الاوغاد صانوخهم
الثاني ، ولماذا لم ..

توقف بعنة بحركة حادة ، على نحو كد يعقده
توازنه ، وهو يحدث في آخر شيء يتوقع وجوده .
في مثل هذا المكان ..

الآلة ضخمة من آلات الحفر ، تقف مستقرة الى
حائط احد الجدارين الصخريين للممر ، دون ان يكون
الى جوارها احد ..

الهلينوكوبتر ايضا فوجئت بتلك الآلة الضخمة
امامها ، وهي تدور في المنحنى ، تصرخ (كواروس)
في ارتفاع :

- احترس أيها القائد .

جذب (أندروفيتش) عصا القيادة بكل قوته ،
فارتفعت الهلينوكوبتر في سرعة ، وتفدى الروسى
ارتظام مروحتها بجدار الممر في مهارة مذهمة ،
وهو يغمغم :

- اللعنة !

أما (الهم) ، فلم يضع وقتاً طويلاً في التفكير ،
وإنما وثب داخل الآلة ، وهو يغمغم :

توقف بعنة بحركة حادة ، على نحو كد يعقده توازنه .
وهو يحدث في آخر شيء يتوقع وجوده ..

- لن أسأل نفسي ما الذى أتى بك هنا ، ولكن
المؤكد أنك صاحبة الضوء الساطع والهدير القوي .
التى كدت تسحقيننا بالصخور المتساقطة ، منذ بضع
ساعات ، ولكننا سنتناسى كل الأحقاد القديمة ، ونبدأ
عهداً جديداً معاً ..

ادار محركها ، فى نفس اللحظة ، التى عادت فيها
الهنيوكوبتر إليه ، وضغط الروسى أزرار مدافعها
الآلية الأربعة ، وهو يقول :

- لن احطن الهدف هذه المرة أيها المصرى
انطلقت رصيصات المدافع الآلية الأربعة ، لتضرب
جسم الآلة الضخمة ، واتحنى (أدهم) متفادياً سيل
الرصاصات ، الذى اخترق الزجاج الامامى ، وحوله
إلى فتات ، ودفع ذراع تشغيل الآلة ، قائلاً :
- عفواً أيها الاوغاد ، ولكن رصاصاتكم لن تخترق
هذه المدرعة قط .

كان (أندروفيتش) يطلق نيران مدافعه الآلية
الأربعة فى غزارة ، نحو آلة الحفر الفولاذية
العملقة ، التى ينطلق بها (أدهم) ، عائداً إلى حيث
ترك (جيهان) والبروفيسير (ماتهيلم) ، فى محاولة

لإتقدهما ، فى حين اتهمك (كوادروس) فى محاولة
إصلاح زر إطلاق الصاروخ ..
وفى حماس ، هتف (كوادروس) ، وهو يعتدل
فى مجلسه :

- أصلحته أيها القائد .

تألفت عينا الروسى ، وهو يقول :

- عظيم .

قائلاً ، ودار بالهليوكوبتر دورة جديدة ، ثم انقض
على آلة الحفر ، هتافاً :

- إلى الجحيم يا (أدهم صبرى) .

وضغط زر إطلاق الصاروخ فى قوة

وفى هذه المرة ، انطلق الصاروخ بالفعل ..

انطلق نحو آلة الحفر ، التى يقودها (أدهم صبرى)
بأقصى سرعتها ..

وأصاب هدفه ، و ...

وانفجر ..

وكان الانفجار داخل العمر أشبه بجحيم .

جحيم حقيقى ..

★ ★ ★

انطلقت زفرة حرة من اعماق صدر المفتش
(باترياس) ، وهو يتنهك على مقعده ، مغمغم في
إرهاق :

- يا لها من ليلة !

هز زميله رأسه ، وهو يجاهد ليبقى عينيه
مفتوحتين ، وقال ملوحًا بكفه :

- طهب اعنف ليلة قضيتها هنا ، منذ التحقنا
بالعمل في الشرطة يا رجل .

وافقه (باترياس) بإيماءة من رأسه . وقال

- كم تمنيت ان اقضى تلك الليلة بالذات مع أسرتي .
من المؤكد ان الفزع قد اصابهم طوال الليل ، بسبب
تلك العاصفة الرهيبة .

حاول زميله ان يبتسم مجاملا ، وهو يقول

- توضحية جديدة في سبيل الواجب يا زميلي

ثم أغلق عينيه ، مستطرذا :

- أما الآن ، وقد هدأت العاصفة كثيرا ، فظن أنه

من حقا ان نحصل على قدر من النوم والراحة

شعر (باترياس) بتناقض جفنيه ، وهو يتمتع

- بالتاكيد .

استرخى زميله في مقعده ، وبدأ وكاته يفرق
بلفعل في بحر النوم العميق ، في حين راح هو يقوم
النعاس ، متابعا :

- كم أتوق إلى الراحة ، و

وفجأة ، صرخت عبدة ما في أعماقه ، وقفزت في
عنف إلى رأسه ، وجعلت جسده كله ينتفض ، وهي
تطلق من بين شفثيه في قوة :

- لا .. لا وقت للنوم .

اعتدل زميله منزعجا ، وهو يسأله في عصبية :

- ماذا أصبت يا رجل ؟! هل انتبتت الكوابيس ،
قبل حتى ان تغلق عينيك وتستسلم للنوم ؟!

هب (باترياس) من مقعده ، قائلا في حزم :

- لا وقت للنوم يا رجل لقد هدأت العاصفة نسبيا ،

وحان وقت العمل .

هتف زميله مستكبرا :

- العمل ؟! أي عمل يا رجل ، بعد كل ما فعلناه

طوال الليل ؟!

أجاب المفتش في صرامة :

- العمل الحقيقي .

ثم ضغط جهاز الاتصال الداخلي ، وهو يقول في حزم :

- (ماركو) . . أريد حملة من ثلاث سيارات وعشرة جنود على الأقل نعم ساقودها بنفسى . لا لا تسأل عن وجهتها يا (ماركو) .. انتظر حتى نصل إليها معًا .

وانهى الاتصال فى حماس ، وهو يلتقط سترته ، أمام عيسى زميله ، الذى أخذته الدهشة ، وجعلته يقول فى عصبية :

- أية حملة يا (باتدرياس) ؟! إن ما تحتاج إليه حقًا يا رجل هو النوم . والنوم العميق .

أجابه (باتدرياس) ، وهو يرتدى سترته على عجل :

- من الواضح أن متاعب الليلة الماضية قد أنستك أمر خصمنا ، الذى اقتحم ممر (بيليجرو) أمس ، على الرغم من أنفنا .

قال زميله فى انفعال :

- ليس لديك دليل واحد على أنه قد اتخذ ممر (بيليجرو) ، ثم إن المعلومات التى حصلنا عليها

بشأته أمس ، تجعلنا غير مؤهلين للتصدى له

ارتسمت ابتسامة غامضة على شفتى (باتدرياس) ، وهو يعقد رباط عنقه ، قائلاً :

- من يدري ؟! .. ربما ؟!

حدق زميله فى وجهه بدهشة ، ثم لم يلبث أن قال فى حدة :

- ماذا تعنى يا رجل ؟! لست أفهمك !

اتسعت ابتسامة (باتدرياس) ، وهو ينوح بيده ، قائلاً :

- ربما لأن وقت الفهم لم يحن بعد يا رجل

فاتها ، وغادر المكتب فى خفة ، وابتسامته تزداد غموضًا ..

وعلى نحو معتفر ..

★ ★ ★

شعرت (جيهان) بالام عنيفة فى كتفها ، عندما اخترقته رصاصة المدفع الالى ، وانزعتها من مكانها أعلى الصخور ، لتلقى بها على الأرض فى عنف ..

ومع ارتطامها بالأرض ، انتشرت الآلام فى كل عظمة من عظامها ، فى نفس اللحظة التى راح البروفيسير (مانهام) يجرى فيها فى المكان مذعورًا ، وهو يصرخ ويصرخ ..

وعلى الرغم من الالم وعذابها ، هت (جيهان)
واقفة على قدميها ، وهي تهتف :

- لا لا ينبغي ان يظفروا بـ (ادهم) لا ينبغي
أبداً .

وقبضت على مسدسها بكل قوتها ، على الرغم من
انه لم يعد يحوى سوى رصاصة واحدة ، وعادت
تسئق الصخور فى لهفة ، وابروفيسير يهتف بها
مذعوراً :

- الى اين ايها المجنونة ؟ سيظفرون بك حتماً
صاحت به فى غضب صارم :

- اصمت يا رجب اصمت وإلا أضفت الرصاصة
المتبقية على رأسك .

اطبق البروفيسير شفطيه ، وهو ينكمش فى مكانه ،
ويراقبها بخوف شديد ، فى حين واصت هى تسئقها
الصعب ، متجاهلة الام كتفها ، حتى بلغت القمة ،
ورات الهنيوكوبتر من بعيد ، وهى تنفض على آلة
الحفر الصخمة ، التى ينطق بها (ادهم) ، عائداً
إليها .

ثم رات الصاروخ ينطلق من الهنيوكوبتر

وبكل انفعالها ، صرخت (جيهان) :
- لا .. لا ..

ومع نهاية صرختها ، رأت الصاروخ يصيب
موخرة آلة الحفر ، ثم ينفجر بدوى هائل

وعلى الرغم من المسافة الكبيرة ، التى تفصلها
عن موقع الانفجار ، واثى تزيد على مائة متر كاملة ،
إلا انها شعرت بضغطه وحرارته ، ورات آلة الحفر
تقب على نحو مخيف ، ثم ترتطم بحدار الممر ،
وتسقط على جانيها على أرضيته

وسقط قلبها بين قدميها ، وهى تصرخ :
- أيها الأوغاد .. أيها الأوغاد .

ودون ان تدري ، وجدت نفسها تطلق رصاصتها
الأخيرة نحو الهنيوكوبتر ..

والعجيب ان رصاصتها الفاضية هذه قد وجدت
طريقها ، وبمنتهى الدقة ، إلى أحد رجال السنيورا
داخل الهنيوكوبتر ، واحترقت جمجمته ، وهو يطلق
ضحكته الضفرة ، احتفاءً بنسف آلة الحفر ، فاحتفت
ضحكته فى حلقه ، واتسعت عياده عن اخرهما ،
وهوى من الهنيوكوبتر ، ليرتطم بأرضية الممر فى

عنف ، وإلى جواره مدفعه الآلى ..

وصرخ (كوانروس) غاضباً :

- اللعنة .. تلك العينة قتلت (مينو)

تعلمت عينا (أندروفيتش) لحظة بألة الحفر ، اتى
انقبت وسط الممر ، واشتعلت فيها النيران ، ثم قال
فى حزم :

- ستدفع الثمن غالياً .

قالتها ، ودار بالهليوكوبتر ، وانطلق بها نحو
الصخور ، التى تقف عندها (جيهان) ، وضافت
عيناه على نحو عجيب ، وهو يتمم :

- هيا . الحقى بزميتك أيتها المصرية .

وضغط زر إطلاق المدافع الآلية الأربعة ، فى أن
واحد ..

وانطلقت الرصاصات كالمنطار ..

ووثبت (جيهان) من موضعها ، وهى تهتف .

- رباه !.. لقد انفتحت أبواب الجحيم .

صرخ البروفيسير (ماتهيلم) ، وهو ينتصق

بالصخور ، ويرتجف كريشة فى مهب الريح :

- أنت الممنونة .. أنت أثرت غضبهم .

صاحت (جيهان) ، وهى تندفع نحوه :

- كفى يا بروفيسير لا موضع لجبنك هنا .

برزت الهليوكوبتر فى نفس اللحظة ، التى احتمت
فيها بصخرة بارزة ، وانطلقت رصاصاتها حولهما فى
غزارة ، جعلت البروفيسير يصرخ :

- لا .. لا أريد أن أموت .

صاحت به (جيهان) :

- اطمئن أيها الجبان . لا أحد منهم سيحاول قتلك ..
إنهم يريدونك حياً .

اتسعت عيناه فى شدة ، وكأما اتبته إلى هذه
الحقيقة لأول مرة ، وهتف :

- اه .. أنت على حق .. لا أحد منهم سيحاول
قتلى .. أنا بطاقتهم الراححة .

واندفع محاولاً بلوغ الهليوكوبتر ، وهو يلوح
بنراعيه ، هاتفاً :

- لا تطلقوا النار . إنه أنا .. البروفيسير
(ماتهيلم) .. لا تطلقوا النار .

جذبه (جيهان) إليها فى عنف ، صائحة :

- هل جننت يا رجل ؟!

قاومها في عنف ، وهو يصرخ :

- اتركيني .. لن يطلقوا على النار .. إنهم يريدونك
أنت لا أنا .

صاحت به :

- ومن أدراك أنهم لن ينسفوك ، قبل حتى أن
يتبينوا هويتك ؟!

صرخ فيها ، وهو يواصل مقاومته العنيفة

- ينسفونني " يبدو أن الانفجار قد أفسد حاسة
السمع لديك تماما . ألم تنتهي إلى أنهم قد اوقفوا
إطلاق النار بالفعل

اتخذ حجابها في شدة ، عندما استوعبت عبرته ،
وانتهت بالفعل إلى أن إطلاق النار من الهليكوبتر قد
توقف تماما ، فمالت براسها لتلقى نظرة ، جعلت
عيناه تتسعان ، وجسده يرتجف كله ، من قمة
رأسها ، وحتى أخمص قدميها ..

لقد هبطت الهليكوبتر بالفعل على أرضية الممر ،
بين الإهيارين الصخريين ، وقفر منها (اندروفيش) ،
مع كل رجل السنيورا بمدافعهم الآلية

وهذا يعني أن الاختباء خلف تلك الصخرة البارزة
ثم بعد مجديا ..
أبدا ..

★ ★ ★

لنأول طويلة ، شعرت كل خلية في جسد (جيهان) ،
أن النهاية آتية لا ريب ..
إنها تواجه فرقة من الرجال المسلحين بالمدافع
الآلية ، داخل مصيدة بين جدارين جنين ، وإهيارين
صخريين .

والأدهى أنها لا تمتلك سوى مسدس فارغ ، و
ولكن مهلا ..

إنها تعلم أن مسدسها فارغ ، لأنها اطلقت كل
رصاياته ..

ولكن هؤلاء الرجال لا يعلمون ..
ثم إنهم يريدون اندروفيشير (متهائم)
وبشدة ..

وهذا يعني أن أممها فرصة للنجاة
فرصة واحدة فحسب ..

كان اندروفيشير (متهائم) يواصل صراعه معها .

وهو يهتف في عنف :

- أتركينى .. لاحق لك في احتجازى على هذا النحو .. أتركينى .

وفى حركة سريعة ، لوت نراعه خلف ظهره ، وألصقت فوهة مسدسها الفارغ بصدغه ، قائلة فى سخرية :

- أتركك !؟ مستحيل يا بروفيسير !؟ أنت جوار مروى الوحيد من هنا .

ودفعته أمامها خارج مكنها ، وهى تهتف فى صرامة :

- قفوا .. حركة واحدة ، وأنسف رأس البروفيسير (مانهيلم) بلا هوادة .

توقف الرجال دفعة واحدة ، أمام ذلك المشهد ، وعقد (أندروفيتش) حاجبيه ، وهو يتطلع إليها فى صمت صارم ، فى حين صرخ البروفيسير فى رعب :

- ماذا أصابك !؟ هل جننت !؟

سألته فى صرامة :

- أيهما تفضل ، لو أنك موضعى يا بروفيسير !؟ الموت أم الجنون !؟

اتسعت عينها البروفيسير فى هلع ، على عكس (أندروفيتش) ، الذى استعاد هدوءه وبروده ، وهو يقول :

- هل تتصورين أنه يمكنك النجاة ، بهذا الأسلوب التقليدى الساذج !؟

هزت كتفها ، مجيبة فى سخرية :

- ولم لا ؟! التقليديات لا تندثر قط

مط شفتيه فى برود ، وقال :

- بالتأكيد . ولكن هل تعلمين طبيعة التقليديات ،

التي نشأت عليها فى وطنى !؟

قالت فى سرعة :

- أتقصد الاتحاد السوفيتى !؟

ابتسم فى سخرية ، قائلاً :

- بالضبط .. من الواضح أنك تستطيعين تمييز

اللهجات الشرقية جيداً .

أجابته بسخرية أكثر :

- خطأ يا رجل .. يمكنك أن تقول إننى أحفظ

الملفات السوفيتية القديمة عن ظهر قلب .. اليس

كنتك يا ماجور (أندروفيتش) !؟

رفع احد جيبه ، متمم في برود مستفز
- هكذا ؟!

ساعت في مريح مدهش من انصرامة وتسخرية
- نعم هكذا لقد قرأت كل ما جمعه مخبر اتنا
عند يا (يورى اندروفيتش) . منذ انتحقت بتعمل
في جهر المخبرات السوفيتي . وحتى تم استعادتك
منه لأسباب أخلاقية ، و ..
قَطَعَهَا بِسُرْعَةٍ ، وعندما يحقني استفضتها في
الحديث :

- عظيم معلومات ممتازة انتها المصرية .
ولكني احشى انها لن تكفي لخروجه من حد سامة
تدود البروفيسير (متهيم) في اتم ، عندما
صعقت قوهه مسدسه اكثر وكثر في عقه ، قلته .
- وماذا عن البروفيسير (متهيم) انه درع
مناسب للنجاة .. أليس كذلك ؟!

صمت (اندروفيتش) لحظة ، قبل ان يقول في
صرامة :

- هذا بعيد اني الحديث عن التقديرات في وطني
هن نعلمين ما كما فعله ، اذا ما حول شخص من الاحتماء

بأحد ذوى الحيثية ؟..

ورفع مسدسه ، مصوبا إياه لثيروفيسير ، وهو
يتابع .

- كن نطق النار على الاثنين ، ثم نصرف معاتنا
محترماً لأسرة الشهيد .

اضنقت (جيهان) ضحكة ساخرة ، وهي تقول
- أراهن على أنك لا تستطيع تطبيق هذا المبدأ هنا
هاتف البروفيسير مذعوراً
- لا تحاولي استفزازي بالله عليك .

أما (كوادروس) . فقال على (اندروفيتش) ،
قاتلاً في عصبية :

- قل لي أيها القند لم لا نطبق تقاليدكم القديمة ؟!
اتعقد حاجب الروسى ، وبدا وكأنه يحاول حسم
أمره ، و ...

وفجأة ، انطق رنين هاتفه المحمول في جيبه ،
فانقضه بحركة سريعة ، وهو يقول
- أنا (يورى) .. من المتحدث ؟!

تأملت عينه بشدة ، وهو يستمع إلى المنبورا ،
وغغمم :

- عظيم .. عظيم يا منيورا ..

بدا التوتر على وجه (جيهان) ، وقالت في عصبية :

- لو أنها خدمة جديدة ، سأأسف رأس البروفيسير أمام عيونكم جميعاً .

صرخ البروفيسير مذعوراً :

- لقد جئت حتماً .. لا بد أنك ...

أطلق (أندروفيتش) ضحكة قوية عالية ، بترت صرخة البروفيسير ، الذي حذق فيه في ذهول ، وسمعه يقول :

- كلاً يا بروفيسير . إنها لم تجز .. كل ما تفعله هو أنها تحاول الاحتماء بك .. محاولة خداع ليس أكثر . أجابته (جيهان) في عصبية :

- دعني أحذرك للمرة الأخيرة يا (أندروفيتش) .. إنني جادة تماماً فيما أقول ، وأية محاولة منكم ، ستجعلني أسف رأسه ، وأفقدكم إياه إلى الأبد ، و .. قطعها (أندروفيتش) في سخرية :

- ولماذا تبذلين هذا الجهد يا فانتسي ؟! اتركي هذه المهمة لي .

ومع آخر حروف عبارته ، رفع مسدسه بسرعة . وأطلق النار ..

وجحظت عينا البروفيسير (ماتهائم) في شدة ، ولوح بكفه لحظة ، والدماء تتبثق من ثقب في منتصف جبهته ، بين حاجبيه تماماً ..

ثم هوى ..

هوى جثة هامدة ، عند قدمي (جيهان) ، في نفس اللحظة التي أشار فيها (أندروفيتش) لرجاله ، قائلًا ببروده الأسطوري المثير :

- اقتلوا .

وردت جدران (بيلجرو) دوى الرصاصات .. وسالت الدماء في الممر .. ممر الجحيم .



٧ - المقاتل ..

لم يشعر (ادهم صبرى) ، فى حياته كلها ، بعنف انفجار ، مثلما شعر به هذه المرة ..

لقد انطلق الصاروخ من الهنيوكوبتر ، واصاب مؤخرة آلة الحفر ، التى ينطق بها عبر الممر ، ثم انفجر بعنف هائل

عنف انتزع الآلة الضخمة الثقيلة من مكانها ، وضرب بها جدار الممر فى قوة ، قبل أن تنقلب على جانبها ، وتشتعل النيران فى مؤخرتها

وبالنسبة إليه ، وجد (ادهم) جسده يندفع إلى الامام فى قوة ، فارتطم بعجلة القيادة ، وشعر بأحد اضلاعه يتحطم ، قبل أن يرتج فى عنف ، عندما ارتطمت الآلة بجدار الممر . وتشبثت يده بأقرب شيء إليه ، والآلة تنقلب ، وتشتعل فيها النيران

لم يدر ماذا اصابه بالضبط ، ولا كيف بقى على قيد الحياة ، بعد هذا الانفجار الرهيب ، وشعر بالام مرحة فى صدره ورأسه ، وبطين عنيف فى اذنيه .

وسمع هدير مروحة الهنيوكوبتر ، التى تحلق فوقه ، وقرقعة النيران فى مؤخرة الآلة . ولكنه لم يتحرك من مكانه ..

إيه حتى لم يحاول ..

اللام الرهيبة ، التى انتشرت فى جسده كله ، مع الدوار الذى يشعر به ، منعه من التحرك ، خاصة وان موقعه هذا كان يحجبه عن ركاب الهنيوكوبتر تماما

ثم سمع دوى الرصاصة ..

ومن مكانه ، لمح شخصا يسقط من الهنيوكوبتر ، وخلفه مدفعه الآلى ..

ثم رأى الهنيوكوبتر تنطلق عائدة إلى حيث ترك (جيهان) والبروفيسير (متهم)

هذا وحده جعله يستنفر قواه كلها ، ويستجمع كل ما تبقى له منها ، وينهض من بين الحطام ، والأشياء التى تبعثرت من حوله ..

أسلاك ، وحبال ، ومطارق ، وأدوات حفر وبناء يدوية مختلفة

كأنه تخطى بقفزة واحدة ، وتطلع فى توتر إلى

الهليوكوبتر ، التي تهبط خلف الصخور ، وغمغم :
- يا للأوغاد !..

وعلى الرغم من الامة وضنعه المكسورة اندفع
يلتقط المدفع الانى ، العنقى أرضاً ، إلى جوار جثة
الرجل ، واسرع إلى الصخور الأمامية ، وراح
يتسنىها في خفة ، حتى بلغ قممها ، وهناك انعقد
حجاباه في شدة ، عندما رأى (أندروفيتش) يطلق
النار على رأس البروفيسير (ماتهيم) ، ثم يأمُر
رجاله بإطلاق النار على (جيهان) ، و .
ودوت الرصاصات في قلب الممر ..
رصاصات (آدم) ..

انطلقت تسبق رصاصات رجال السنيورا ، الذين
فوجئوا بها تنهال عليهم كالمنطر ، وتحصد اثنين منهم
على الفور ، فالتفت الباقون إلى مصدرها بسرعة
البرق ، وراحوا يطلقون رصاصاتهم نحو (آدم) ،
وهم يحتمون بجسم الهليوكوبتر ..

فيما عدا (أندروفيتش) ..

طبيعته كرجل مخابرات ، جعلته أكثر الجميع
تماسكاً ، وأسرعهم استيعاباً للموقف ، وتقديراته .

ففي اللحظة التي أطلق فيها (آدم) رصاصاته ،
ادرك الروسي ان خصمه لم يلق مصرعه ، على
الرغم من عنف الانعجار ، وأنه قد انطلق بكل قوته ،
لإنقاذ زميلته من بين أيديهم ..
وأدرك أيضاً ما هو أكثر أهمية ..

ادرك أن تلك الزميلة ستكون بطاقتهم الراحلة ،
للنجاة من رصاصات (آدم) ، التي لا تخطئ هدفها
قط ..

وبكل قوته وسرعته ، انقض (أندروفيتش) على
(جيهان) ، التي اتخذت وضعاً قتالياً ، هاتفة :
- إياك أن ...

الا أن خبرة الروسي القتالية ، وسنوات عمله
الطويلة في المخابرات السوفيتية ، جعلته يميل في
رشاقة ، ثم ينقض عليها من زاوية عسيرة ، وهو
يقاطعها ، قائلاً :

- أخبريني يا عزيزتى . لماذا لم تطلقى النار ؟!

وبكل مهارة ، هوى على مؤخرة عنقها بضربة
حاددة سريعة ، جعلتها تطلق شهقة مكتومة ، قبل أن
تدور بها الأرض ، وهو يتابع في صرامة .

- ترى ايعنى هذا انك كنت تهدديننا طوال الوقت
بمسدس فارغ .

فقدت (جيهان) توازنها . وكادت تسقط ارضا .
لولا ان النقطه هو بين ذراعيه . وانصق فوهة
مسدسه الباردة بصدغها . وهو يندفع نحو
الهليوكوبتر . هاتفا :

- تراجعوا يا رجال إلى الهليوكوبتر

اتعقد حاجبا (أدهم) فى توتر بالغ . عندما لمح
(جيهان) بين يدي (أندروفيتش) . وادرك مع
الوسيلة . التى ينسحب بها مع رجائه . انه يواجه
فريقا من المحترفين الحقيقيين . فقد احتمى اثنان
منهم بجسم الهليوكوبتر المصفح . وراحا يطلقان النار
عنه دون توقف . ليمنحا زملاءهما فرصة التراجع
والانسحاب ..

وانطلقت ضحكة (أندروفيتش) تجلجل فى المكان .
وهو يدفع (جيهان) دحل الهليوكوبتر . ويثب إلى
مقعد قيادتها . قائلا :

- كنت أعلم اننى طرقت نقطة ضعفك الوحيدة أيها
المصري عواطفك الساذجة المرهفة . إنك لن

تجرو على اصابتك بسوء . مادامت زمينتك بين أيدينا
ولكن (أدهم) واصر اطلاق النار على الهليوكوبتر .
وهي ترتفع من مكانها . وبداخلها (جيهان) . التى
لم تستعد توازنها بعد . فى حين واصل (أندروفيتش)
ضحكاته . هاتفا :

- أطلق كن ما لديك من رصاصات أيها المتحذلق .
فلقد احترت هليوكوبتر مصفحة بالكامل . حتى
مروحتها لن تحطمها الرصاصات هيا اخسر كل
رصاصاتك .

ثم يكن الروسى يدرك . وهو يلقى عبارته الساخرة
هذه . ان (أدهم) لم يواصل إطلاق النار . إلا ليذكر
هذا الأمر بالتحديد ..

كان يختبر قوة الهليوكوبتر وجسمها المصفح ؛
ليتعرف طبيعة خصمه وقوته ..

ونقد ارتفع هذا الخصم بالهليوكوبتر . ودار بها .
ليطلق مدافعها الأربعة نحوه ..

وقبل ان تنطلق الرصاصات قفز (أدهم) من مكانه .
وهبط إلى لرضية الممر . ثم انطلق يعدو نحو حطام
آلة الحفر ..

ولكن (أندروفيتش) انطلق خلفه بالهنيوكوبتر ،
وهو يقول في ظفر بارد :

.. لن تجد مكانا واحدا . تذهب إليه هذه المرة
يا رجل .

كان (أدهم) يعدو بكر قوته ، ولكن الهنيوكوبتر
لحقته به في بساطة ، وأحسن الروسى تصويب مدفعه
هذه المرة ، وهو يقول بنهجة ساخرة :

.. هيا قر وداعا لهذه الدنيا يا (أدهم) .

قالها ، وضغط أزرار المدافع الآلية ، و ..

وانطلقت الرصاصات ..

★ ★ ★

لم يتوقف عقل البروفيسير (بولانسكى) عن التلق
والتفكير لحظة واحدة ، منذ هبطت به الطائرة
الصغيرة في تلك المنطقة ، في قلب جبال (بوليفيا)

كان مندهشا في البداية ؛ لان رحلته من (سيبيريا)
إلى (أمريكا الجنوبية) ، لم تستغرق سوى هذه
الساعات القليلة ، ثم لم يلبث أن اتبته إلى ان الطائرة
كادت تنطلق في اتجاه الشرق لا الغرب

ولكن حتى هذا لم يعد يشغله في تلك اللحظة

لقد هبطت الطائرة ، وه هو ذا يجلس داخل مكتب
واسع اتق ، لم ير مثيلا له ، فى (موسكو) كلها ،
ولكنه مازال يجهل لماذا أتوا به إلى هنا ؟
ولماذا احضروه بهذا الاسلوب المعقد ؟
لماذا ؟؟

لماذا ؟؟

« مرحبا بك هنا يا بروفيسير (بولانسكى) . »
انتفض جسده فى عنف ، عندما سمع العبارة ،
على الرغم من الصوت الأنثوى الناعم ، الذى نطقها ،
وأندهشه أن تنطق فى أذنه ضحكة أنثوية أكثر نعومة ،
وهو يلتفت إلى مصدر الصوت ، و ...

وعاد جسده ينتفض مرة أخرى ..

وبمنتهى العنف ..

وفى هذه المرة ، كان سبب انتفاضه مختلفا
تماما

لقد كانت انتفاضة انبهار ..

فعندما استدار إلى مصدر الضحكة ، وقع بصره
على امرأة فائنة ، خيل إليه أنه لم ير فى حياته كلها
من هى أكثر جمالا منها ..

امراة جعلت قلبه يخفق في عنف بين ضنوعه ،
وخاصة بعد السنوات الطويلة ، التي قضاها في معتقل
(سيبيريا) .

وبكل النهوة والابهار ، تعلقت عيناه بالسنهورا ،
وهي تعبر حجرة المكتب الواسعة في تهاد متعمد ،
حتى بلغت مكتبها ، وجنست خلفه ، وهي تمحبه
ابتسامه ساحرة ، قبل أن تقول :

- هذا المكان افضل من (سيبيريا) أليس كذلك ؟
رند مبهوتا :

- (سيبيريا) ؟
نطقها وكثها أو مرة يسمع فيها هذا الاسم ، ثم
لم يلبث أن انتفض هاتفا :

- اه بالتاكيد هذا المكان أفضل كثيرا
انطلقت منها ضحكة مرحة ، خفق لها قلبه ثتية ،
قبل أن تقول :

- أنت أيضا ستصبح أفضل كثيرا هنا يا بروفيسير
هتف في حماس :

- بالتأكيد .
رمقته بنظرة صامتة ، قبل أن تتراجع في مقعدها ،
قائلة :

- إبتك نعم تسألني حتى ما الذي ستفعله هنا
ابتسم ، قائلا :

- أي شيء أفعله هنا ، سيكون أفضل مما كنت
أفعله في (سيبيريا) .

ابتسمت ابتسامه عذبة ، جعلته يضيف في حماس
- ليس لدي أدنى شك في هذا .
انطلقت منها ضحكة عذبة قبل أن تميل نحوه ،
قائلة :

- اطمئن يا بروفيسير هنا ستعود إلى عملك
الأصلي .

رند مبهورا :
- عملي الأصلي ؟
أجابته بسرعة :
- بالتأكيد . ستعود للعمل كخبير في الهندسة
النووية .

تعلقت عيناه في نهفة ، وهو يهتف في سعادة :
- حقًا يا سيدتي ؟
أشرت إلى نفسها ، قائلة في حرم :
- اسمي السنهورا خطبني دائما بهذا النقب

ازبرد لعابه في صعوبة ، وقال في انفعال :
- حقاً يا سنيورا .

ابتسمت في ظفر ، قائلة :

- بالتأكيد يا بروفيسير (بولانسكي) بالتأكيد ..

وبكلمات واضحة مباشرة ، راحت تشرح له الأمر كله ..

وبكل التفاصيل ..

وعندما انتهت من روايتها ، وكشفت كل أوراقها ،
كان فريق عيني البروفيسير يكاد يضيء بالحجرة كلها .

وكان هذا يعني أن فريق السنيورا النووي قد اكتمل

وأن خطتها للسيطرة على العالم قد بدأت .

وستمضي في طريقها حتى النهاية ..

نهاية العالم الحر ..

★ ★ ★

من المؤكد أن محترفاً مثل (يوري أندروفيتش) ،

لا يمكن أن يخطئ الهدف مرتين .

صحيح أن المدافع الآلية ، التي تم تزويد الهليوكوبتر

بها ، لم تكن مصوبة بدقة ، إلا أنه ، طبقاً لخبراته
السابقة ، يمكنه تحديد زاوية الخطأ ، وإجادة
التصويب ، و ...

ونصف خصمه - نفساً ..

لذا ، فعندما صوب مدافع الهليوكوبتر الأربعة نحو
(أدهم) ، وضغط أزرار الإطلاق ، كان من الطبيعي
أن تنطلق رصاصاته لتتساقط (أدهم) نفساً .

مع أدنى احتمال للخطأ ..

لولا ما حدث ..

ففي نفس اللحظة تقريباً ، التي ضغط فيها الأزرار ،
تملصت (جيهان) من الرجل الممسك بها ، وانقضت
عليه من الخلف ، هاتفة :

- لن نظفر بـ (أدهم صبري) أبداً .

جاءت انتفاضتها في اللحظة المناسبة بالضبط ،
على نحو باغت (أندروفيتش) ، وجعله يجذب عصا
القيادة بحركة غريزية ، فارتفعت مقدمتها قليلاً ،
وانطلقت رصاصات المدافع الأربعة لتخطئ هدفها ،
وتضرب الجدار الصخري للممر ..

وبكر غضب الدنيا ، دفع (أندروفيتش) (جيهان)
عنه ، صائحاً :

- أيتها النعينة !

انقضت عليه مرة أخرى ، هاتفة :

- ولكننى هزمتك .. أليس كذلك ؟!

تفجرت ثورة هائلة فى أعماق (أندروفيتش) ،

جعلته يلكمها بكل قوته ، صارخا :

- لا أحد يهزم (أندروفيتش) . لا أحد .

ومع صرخته ، انتزع مسدسه من حزامه ، وأدار

فوهته نحوها ، و .

وأطلق النار

كانت (جيهان) تنفض عليه للمرة الثانية ، عندما

شعرت بعمود من النار يخترق صدرها ، ويترعرع من

مكثها الى خارج الهيكل ، على ارتفاع أكثر من

عشرين مترا من الأرض ، فطلقت من حلقها صرخة

قوية ، وهى تضرب الهواء بذراعيها وساقيهما

ورأى (أدهم) هذا المشهد

راه ، وهو يعدو نحو آلة الحفر العملاقة .

ومن أعماق أعماقه ، صرخ

- ايها الأوغاد

ثم تفجرت فى أعماقه بفتة طاقة هائلة

طاقة ضاعفت قوته مرتين على الأقل ، وجعلته

يعدو نحو (جيهان) بسرعة خرافية ، اتسعت لها

عيون ركاب الطائرة ذهولا وانبهارا ، حتى إن

(كوانروس) هتف دون وعى :

- يا للشيطان !.. من المستحيل أن يكون هذا بشريا

عاديا ..

وقبل حتى أن تكتمل عبارته ، وثب (أدهم)

كانت وثبة ، أقل ما يمكن أن توصف به ، هو أنها

مذهلة ، فقد قطع خمسة أمتار دفعة واحدة ، ليلتقط

جسد (جيهان) فى الهواء ، ويسقط معها أرضا .

وبمنتهى العنف ، ارتطم جسده بأرضية الممر ،

وصرخت ضلعه المكسورة صرخة ألم هائلة ، لم

تتجاوز شفتيه ، وهو يحمى (جيهان) بجسده ، حتى

لا يقتلها السقوط ..

كان وجهها شاحبا كالموتى ، والدم ينزف من

صدرها فى غزارة ، وعلى الرغم من هذا فقد

ارتفعت على شفتيها المرتحفتين ابتسامة ، وهى

تتمتم :

- رباه ! لقد فعلتها يا (أدهم) . فعلتها من أجلى .

تم صغت في قوة ، وتدارت تدماء من بين شفثيها
عنى وجهه ، قبل أن يتهاوى رأسها على صدره .
وفى اللحظة نفسها ، ستدار (أندروفيتش)
باليوكوبتر ، ليعاود الانقضاض عليه ، صارخا ..
- ساقنتك يا (أدهم صبرى) .. ساقنتك

لم يكن هناك وقت للمشاعر ، فى مثل هذه
الظروف ، لذا فقد ترك (أدهم) (جيهن) راقدة
على المعر ، وانطلق يعدو بكل قوته نحو حطام آلة
الحفر ..

وفى نفس اللحظة ، التى قفز فيها (أدهم) بين
الحطام ، انطلقت رصاصات الهيوكوبتر ، وارتطمت
كثيها بالأجزاء الفولاذية السميكة
ولكن الروسى لم يستسلم ..

لقد دار بالهيوكوبتر دورة أخرى ، هاتفا :
- لن يمكنك الاختفاء هناك الى الأبد يا (أدهم) ..
ستنتك رصاصاتى ، إن عاجلا أو آجلا

تركه (أدهم) يردد هدفه الغاضب ، فى حين التقط
هو مطرقة ثقينة ، من مطارق البناء ، المتناثرة حول
الحطام ، وربطها بطرف الحبل الملقى ، ثم وضع



تم قطع حزمة أمتار دعة واحدة ، ليقط حبل (جيهن)
فى الهواء ، ويسقط معها أرضا ..

مطرقة تآتية فى الطرف الآخر له ، وهو يقول فى صرامة :

- كل قطرة من دم (جيهان) ، ستدفعون ثمنها غالياً أيها الأوغاد .

كان (أندروفيتش) يدور بالهنيوكوبتر حول الحطام ، عندما فوجئ بـ (أدهم) يقفز خارجة فجأة ، وهو يحمل الحبل والمطرقتين ، ويديرهما حول رأسه فى سرعة

وفهم رجل المخابرات السوفيتى السابق الأمر ، من النظرة الأولى ..

وبكل قوته ، جذب عصا القيادة ، ليرتفع بالهنيوكوبتر ، هاتفاً :

- يا للشيطان !

وقبل أن يكتمل هدفه ، ألقى (أدهم) سلاحه .. ومع ثقل المطرقتين ، فى طرفى الحبل ، انطلقا تدوران فى الهواء ، وتصنعان مع الحبل ما يشبه المروحة ، حتى ارتطما بمروحة الهليوكوبتر ، التى ينطلق بها (أندروفيتش) محاولاً الفرار ، و .. وتحطمت المروحة بدوى هائل ، وطار أحد أذرعتها

ليرتطم بالجدار الصخرى ، ثم يرتد عنه فى عتف ، كاد يحطم رأس (أدهم) ، لولا أن تفاداه بقفزة جانبية ماهرة ، فى حين اندفعت الهليوكوبتر عبر العمر بسرعة خرافية ، وهى تدور حول نفسها ، حتى ارتطم ذيلها بالجدار ، وتحطم بقوة ، ثم اختفت فى منحنى بعيد ..

وبدا صوت الارتطام ضعيفاً مكتوماً ، ولكن (أدهم) لم يبال به ، وإنما أسرع بفحص زميلته (جيهان) ، ويربّت على خدها فى توتر ، قائلاً :

- (جيهان) . (جيهان) .. تجدى إلى

ولكن (جيهان) لم تنطق حرفاً واحداً ..

لقد ازداد وجهها لمتقاعاً وشحوباً ، حتى أصبحت أشبه بـ ..

بالموتى ..

مط المفتش (باتدرياس) شفتيه فى ضيق ، وهو يتطشع إلى أحد الانهيارات الصخرية ، التى سدّت مدخل العمر ، ولوح بكفه ، قائلاً :

- كان ينبغى أن نسوّق هذا .. المنازل القديمة

انهارت مع العصفه ، ومن الطبيعي ان تحدث بعض
الانهيارات هنا .

أشار إليه أحد رجال الأمن ، قائلاً :

- اعتقد ان الممر قد شهد انهياراً حديثاً ايضاً
يا سيدى المفتش ، فبعض السكان هنا سمعوا ما يشبه
الانفجار .

التفت حاجباً (باتدرياس) ، وهو يكرر

- انفجار " من سمع هذا الانفجار ؟

قال رجل الأمن ، محاولاً توضيح الموقف .

- ليس انفجاراً يا سيدى المفتش ، ولكن صوتاً
يشبه الانفجار .

لم يعلق (باتدرياس) على عبارة الرجل ، ولكن
شيناً ما فى اعماقه كان يشعر أن ما سمعه السكان
كان انفجاراً حقيقياً ، وليس مجرد انهيار صخرى
عادى ..

مدام هناك رجل مثل (أدهم صبرى) فى
(كوهيدور بينيجرو) ، فلأرجح أن ما حدث كان
انفجاراً ..

لم يدر لماذا ربط عقله بين الانفجار ، وتلك السيرة

السوداء ، التى كتبت اول من يتحدى الريح ، عندما
انخفضت حدة العصفه ، ولكن شيد ما فى اعماقه ،
او فى خبراته السابقة ، جعله يشعر بهذا ، ويكاد
يؤمن به ، إيمانه بنفسه شخصياً ..

ولكن طبيعته كرجل شرطة ، دفعته لإلقاء عشرات
الأسئلة حول الأمر...

سأل عن اولئك ، الذين سمعوا ما حدث

وعن خبراتهم السابقة فى الحروب ، او العمل ، او
فى مجال له صلة بالقدرة على تمييز اصوات
الانفجارات ، عن مختلف الاصوات الأخرى الشبيهة
وبالذات الانهيارات الصخرية .

وفى الوقت ذاته ، كان يهتف بين كل لحظة وأخرى :
- أين الحفار ؟! لماذا تأخر ؟! أريد إزالة الصخور
من مدخل الممر بأقصى سرعة ، و ...

وقبل أن يتم هتافه ، فى المرة الأخيرة ، دوى
الانفجار الثانى من قلب الممر ..

كان يبعد أربعة كيلومترات على الأقل من مدخل
الممر ، وعلى الرغم من هذا فقد شعر الجميع
بارتجاجته وقوته ..

وفي افعال جارف ، هتف المفتش (باترياس) :
- إنه انفجار ليس هناك أدنى شك في هذا .
انفجار .

سأله رجل الأمن في توتر بالغ :
- ولكن كيف ؟! الممر مغلق حتماً بعد العاصفة .

صاح به (باترياس) :
- لست أرى كيف ، ولكنه انفجار ، وهذا يعني أن
ممر (بيليجرو) يشهد قتالاً من نوع خاص ، ونحن
نقف هنا في انتظار الحفار وسائقه الغبي .
وبلغ انفعاله ذروته ، وهو يتابع في حدة :

- لن أنتظر ذلك الحفار اللعين .. سأعبر الحاجز
الصخري بأي ثمن هل تفهمون ؟ بأي ثمن .

قالها ، واندفع يتسلق الحاجز الصخري بكل نشاط
وحماس ، ورجاله يلحقون به ، حتى لا يفوتهم ذلك
القتال الخاص في قلب الممر ..

ممر الخطر ..

★ ★ ★

ما أيسر الشعور بالعجز ..
وبالذات مع رجل مثل (أدهم صبرى) ..

فداخل ممر الخطر ، وبين جدراته الصخرية العالية ،
كانت زمينته (جيهان) تلفظ أنفاسها الأخيرة بين
نراعيه ، وهو عاجز عن مد يد المساعدة إليها ..

كل ما فعله هو أن مزق جزءاً من قميصه ، وراح
يحيط به صدرها ، محاولاً منع تزييف الدم ، الذي
يتدفق من أثر رصاصة (أندروفيتش) ..

ولكن (جيهان) ظلت صامتة شاحبة ، وانخفض
نبضها على نحو مخيف ، وكأنما تشبّثت بها يد الموت ،
ورفضت منحها مهلة إضافية في عالمنا ..
وبكل غضبه وحنقه ، هتف (أدهم) :

- يا للأوغاد !! أقسم أن يدفعوا الثمن غالياً ..
أقسم بهذا .

لم يكذ يتم عبارته ، حتى تنأى إلى مسامعه بقعة
هدير يقترب منه عبر الممر ..

وتجمد (أدهم) في مكانه لحظات ، وهو يرهف
سمعه ، محاولاً تمييز ذلك الهدير ، الذي يختلف تماماً
عن هدير آلة الحفر ، الذي سمعوه في أثناء العاصفة ..
كان هديرًا أقل قوة ، يمتزج بصوت إطارات
مطاطية كبيرة ، تسير على أرضية الممر ..

وَنَمَ بَكْنَ هَنَّاكَ وَتَتَّحِثُ وَالتَّفْسِيرُ .

لذا ، فقد أسرع (أدهم) يحمل (جيهن) ، التي تسرعت نفسها الضعيفة ، وتحولت إلى ما يشبه الالهة ، وتلفت حوله في توتر ، باحث عن وسيلة للاختفاء ، و .

وفحة ، برز ذلك الشيء ، الذي يصدر الهدير ، عند منحنى الممر ..

وكانت مفاجأة ..

مفاجأة حقيقية مذهلة ..

وقائلة ..

فذلك الشيء ، الذي برز أمام عينيه ، كان تلك

الهيوكوبتر

نعم نفس الهيوكوبتر ، التي أسقطها منذ دقائق

ولكن دون مروحتها وذيلها ..

لقد انتف سلاح (أدهم) حول مروحتها ، وتسبب في تحطيمها ، ولكن (يوري أندروفيتش) ، رجل المخبرات السوفيتي السابق ، نجح في السيطرة على الموقف ، وهبط بالهيوكوبتر ، التي فقدت مروحتها وذيلها ، في قلب الممر ..

صحيح ان الهبوط كان عنيفا للغاية ، إلا أن الاطارات المطاطية الثلاثة ، أسفل الهليوكوبتر ، تلقت الصدمة كلها ، وأبقت على جسمها سليما .

وعلى الرغم من الغضب الهائل في اعماق (أندروفيتش) ، إلا أنه - محترف - لم يضع لحظة واحدة ، وإنما استدار بالهليوكوبتر ، أو بمعنى أدق ببقاياها ، وانطلق بها على ارضية الممر ، كما لو كانت سيارة كبيرة ..

ومن حسن حظه أن هذا الطرر من طائرات الهليوكوبتر ، كان يسمح بذلك ، ويمنح قنده القدرة على السير بها على أي طريق ، يصلح لقيادة سيارة عادية

والواقع أن (أدهم) لم يكن يتوقع شيئا كهذا أبدا

صحيح أنه يعلم بوجود مثل هذا الطراز من طائرات الهليوكوبتر المدنية ، وخصوصا بين تلك المستخدمة في مشروعات (التاكسي الطائر) (*) ، إلا أنه كان

(*) التاكسي الطائر : مربوب من طائرات هليوكوبتر مدنية صغيرة ، يستخدم لنقل الركاب عبر المسافات الطويلة تفاديا لرحم الطرق ، وتلذذات في اوقات الدروة وسيتم احوال هذا النوع من الخدمة في (مصر) قريبا .

يتصور أن سقوط الهليوكوبتر قد أدى إلى تحطمها
تماماً ، على أرضية الممر ..

أما (أندروفيتش) ، فلم يكذب بلع (أدهم) ، وهو
يحمل (جيهان) ، حتى هتف في ظفر :

- مفاجأة يا عزيزي (أدهم) ليس كذلك ؟
ومع هتافه ، قفزت يده إلى أرضه لإطلاق المدافع الآلية ..

وضغطها بكل قوته ..
وكان سبقاً في سرعة الحركة والاستجابة ، بين
رجلي المخابرات ، المصري والسوفيتي .

سباق بين القوة والمهارة ..
والشجاعة ..

ففي نفس اللحظة ، التي برزت فيها الهليوكوبتر ،
استوعب عقل (أدهم) الموقف كله ، وأدرك أنه
يواجه وحشاً معدباً ، تم تزويده بأربعة مدافع آلية ..
ولم ينتظر حتى يطلق (أندروفيتش) هتافه ، بل
تحرك حاملاً (جيهان) ..

وبسرعة مذهلة ..

وبقفزة ماهرة رائعة ، وثب (أدهم) يحتسى
بصخرة كبيرة ، عند جدار الممر ، في نفس اللحظة

التي انطلقت فيها رصاصات المدافع الآلية الأربعة
وعلى الرغم من أن الرصاصات كلها قد أصابت
الصخرة ، التي يحتسى خلفها (أدهم) ، إلا أن
(أندروفيتش) لم يشعر بأذى غضب

لقد حافظ على هدوئه وبروده ، وهو يوقف
محركات الهليوكوبتر ، قائلاً :

- محاولة جيدة أيها المصري ، ولكنها لن تفيدك
كثيراً .. إنها مسألة وقت فحسب .

وارتسمت على شفتيه ابتسامة بهتة ظفيرة ، وهو
يستطرد :

- بل مسألة دقائق محدودة .

ثم أشار إلى رجاله ، مضيفاً في صرامة :

- عليكم به .

قفز (كوانروس) وبقي الرجال من الهليوكوبتر ،
وانطلقوا بمدافعهم الآلية نحو الصخرة الكبيرة ، التي
يختفى خلفها (أدهم) ، وداروا حولها ، وارتفعت
قواها مدافعهم الآلية كلها في آن واحد ، و

وانطلقت الرصاصات كالمنظف ..

أو كالموت .

٨ - ظلام القبور ..

انتفض (سواتر) ، صانع الأسلحة السرى من فراشه . ووتب يلتقط مسدسه الآلى فى حركة حادة ، مع تلك الطرقات العنيفة ، على باب منزله ، والتي أيقظته مذعورا ، فى تلك الساعة من الصباح . وهو الذى اعتاد الاستيقاظ - عادة - فى منتصف النهار ، وتدفع نحو الباب ، وهو ينوح بمسدسه الآلى فى عصبية ، هاتفا :

- من بالباب ؟!

أتاه صوت غاضب ثائر ، بجيب :

- إله أنا أيها الوغد .. (ألكسندر) .

هتف به فى حدة :

- (ألكسندر) من ؟!

أجابه صاحب الصوت الثائر :

- الكولونيل (ألكسندر) أيها الحقير هيا افتح

الباب ، قبل أن أنسف برصاصاتى هيا

مط (سواتر) شفتيه فى ضيق ، ولكنه أسرع

بفتح الباب ، وهو يقول متبرما :

- ما الذى أتى بك فى هذه الساعة المبكرة

يا كولونيل ؟

ثم استترك فى حدة مهاغته :

- ولماذا أتيت إلى المنزل مباشرة ؟!

دفع الكولونيل (ألكسندر) الباب فى حدة ، وهو يرتدى حلة مدنية أنيقة ، وقال فى غضب ساخط .

- كفى يا (سواتر) أنا الذى سينقى الأسلحة

اليوم -

تطلع إليه (سواتر) فى دهشة ، وهو يندفع داخل

المنزل ، فى نفس اللحظة التى برز فيها (كاتدى) ،

من حجرة النوم الإضافية ، وهو يعقد سرواله فى

صعوبة ، هاتفا :

- ماذا هناك ؟! من ذا الذى يطرق الباب بهذا

العنف ؟!

أشار إليه (سواتر) فى لامبالاة ، وهو يغلق الباب ،

قائلا :

- لا عليك يا (كاتدى) إنه صديقا (ألكسندر)

هرش (كاتدى) شعره الأشعث ، وهو يحدق فى

(ألكسندر) ، مغمغماً في حيرة :

- (ألكسندر) ؟ في مثل هذه الساعة ؟!

تجاهل الكولونيل (ألكسندر) هذه الملحوظة ، وهو يلتفت إليهما ، قائلاً في ثورة :

- ماذا فعلتما بحق الشيطان ؟!

ارتفع حاجبا (كاتدى) في دهشة ، وهو يغمغم :

- ماذا فعلنا ؟!

أما (سواتر) ، فقد التقط علبه بيرة مثلجة من المبرد ، وألقاها إلى (كاتدى) ، قبل أن يفتح أخرى ، قائلاً :

- ما الذى تعنيه بالضبط يا كولونيل ؟!

صاح (ألكسندر) في غضب :

- لقد اتفقتما مع تاجر السلاح (جواتيتو) على تسليمه ثلاث نسخ كاملة ، من مشروع (السوبرمان) عاد (كاتدى) يهرش رأسه في حيرة ، فى حين ارتسمت ابتسامة خبيثة على شفתי (سواتر) ، وهو يقول ..

- آه .. أهذا كل ما يفضيك ؟!

انتفض جسد الكولونيل (ألكسندر) من شدة

الغضب ، وهو يصرخ :

- ماذا أصابك ؟! بل ماذا أصابكما ؟! هل فقدتما

كز إحساس بالأمن والخطورة ؟! هل تدركان عواقب

تسريب أسرار سلاح رهيب كهذا ؟!

تناول (سواتر) جرعة من البيرة المثلجة فى

هدوء ، وقال :

- هل تعلم كم سيدفع (جواتيتو) ، مقابل هذه

النسخ الثلاث ؟!

صاح (ألكسندر) :

- لا يمكن أن يصل سلاح كهذا إلى تاجر قذر مثل

(جواتيتو) ، مهما كان الثمن الذى سيدفعه .

تجاهل (سواتر) العبارة ، وهو يكمل بلهجة

خاصة ، متطلعا إلى الكولونيل :

- عشرين مليوناً من الدولارات .

ابتسم (كاتدى) ، متوقفاً أن يقفز الكولونيل

(ألكسندر) منبهراً مبهوراً ، مع ضخامة المبلغ ، إلا

أنه فوجئ به بصرخ بثورة أكثر :

- حتى ولو دفع ملياراً كاملاً .. مشروع

(السوبرمان) هذا يندرج تحت الأمور بالغة السرية ،

حتى إن مجرد ظهوره خارج نطاق الجيش ، سيلقى

الاتهام فوراً على مجموعة محدودة ، لا تتجاوز
اصابع اليد الواحدة ، ولن يمضى يوم واحد ، حتى
تسير اصابع الاتهام كلها الى هل تعلم ما يعنيه
هذا ؟ الإعدام .. هل تفهمان ؟

تحاهل (سواتر) هذا الحديث أيضاً ، وقال مسيراً
الى (كاندى) :

- أنا و (كاندى) اتفقا على أن نكتفى معا بعشرة
مذنبين ، وتحصل أنت وحدك على الملايين العشرة
الأخرى .

صاح الكولونيل :

- وبم تسيد ملايين الدنيا كلها ، بالنسبة لرجل
ميت ؟

اضق (سواتر) صيحة ساخرة ، احتقن لها وجه
(الكسندر) بشدة ، فهبط فى غضب :
- ما الذى يصححك بحق الشيطان ؟

توقف (سواتر) عن الضحك بغتة ، وانقلبت
سحته على نحو مخيف ، حتى لقد بدا بالفعل أشبه
بشيطان رجيم ، وهو يقول فى سراحة :

- أنت يا كولونيل أنت الذى يضحكنى كثيراً ،

فمع مبلغ كهذا ، بالإضافة إلى الملايين العديدة ، التى
حصلت عليها من سنورتك تلك ، يمكنك أن تفر الى
أى مكان فى العالم ، وتحيا حياة الملوك
صاح به الكولونيل :

- ولكننى أفضّل العيش فى (أمريكا) يا رجل ،
ولن أتخلّى عن حياتى المستقرة فيها بسهولة
هزّ (سواتر) كتفيه ، وقال :
- وماذا عن تضحيتنا بنصف المبلغ أنا و (كاندى) ،
والـ ...

قطعه الكولونيل فى حدة :

- كفى أيها الوغد هل تظن أننى صدقت ذلك
الرقم ، الذى تحاول إيهارى به ؟! أراهن على أن
(جوانيتو) سيدفع ثلاثين مليوناً على الأقل ، ليحصل
على سلاح رهيب كهذا ..

تبادل (سواتر) و (كاندى) نظرة سريعة ، انعقد
بعدها حاجبا انتابى فى شدة ، فى حين صمت الأول
بضع لحظات ، قبل أن يهز كتفيه بلا مبالاة ، ويبقى
ما تبقى من عتبة البيرة فى جوفه ، ثم يمسح شفتيه
بكمه ، ويقول :

- فلتفترض هذا . اعتقد انه مبلغ مناسب جدا ،
والملايين العشرة ، التي ستحصل عليها ، ستكون
نصيبا عادلا من الصفقة . ثم هل تصورت أننا
سنملك تصميمات سلاح رهيب كهذا ، مع أدوات
تصنيعه كاملة ، ثم نكتفى بإنتاج نسخة واحدة
منه ؟! خطأ يا عزيزي الكولونيل .. خطأ .. الفائدة
الحقيقية لتصنيع السلاح هي إنتاجه بالجملة ..
تشتري التصميمات بثمن مناسب ، ثم تصنع منه
عشرات ، ومئات النسخ .. هكذا تغطي التكاليف على
نحو جيد ، وتحصل على الربح المطلوب .

احتقن وجه الكولونيل ، وهو يقول :

- هذا لا ينطبق على مشروع (السوبرمان) ..
إنه واحد من الأسلحة ، التي تم إخراجها على رأس
قائمة السرية والخطورة ، ولا يمكن طرحه للبيع ،
مهما كان الثمن .

اعتقد حجباً (سواتر) في شدة ، وهو يقول :

- ولكنك بعته بالفعل يا كولونيل .

هتف الكولونيل منزعجاً :

- أنا ماذا ؟!

صاح به (سواتر) في شراسة :

- أنت بعته مشروع (السوبرمان) بالفعل
يا كولونيل . نعم . لا تحذق في وجهي هكذا .. لقد
بعته لتلك السنيورا ، مقبل مبلغ ثأفه .. أما نحن ،
فقد أحسنا استغلال التصميمات ببراعتنا المعهودة ،
وحصلنا على ثلاثين مليوناً كدفعة أولى

صرخ الكولونيل :

- دفعة أولى ؟!

أجابه (كاندو) بسرعة :

- بالطبع .. (سواتر) لديه خطة مدهشة ، لربح
أكثر من مائة مليون دولار ، و ..

قاطعه الكولونيل ثائراً :

- مائة مليون ؟! إذن فأنت لم تفكر لحظة واحدة
في الاكتفاء بهذه الملايين الثلاثين يا (سواتر) .
كنت تنوى صنع نسخ أخرى من مشروع
(السوبرمان) .. أليس كذلك ؟!

نهض (سواتر) من مقعده ، وهو يقول في برود :
- وماذا توقعت يا كولونيل ؟! هكذا يكون الاستغلال
الصحيح لسلاح كهذا . (جواتيتو) سيحصل على

ثلاثة منه ، و عذف يبدأ في استخدامه ، مستهزع أينما
العصبات الأخرى ، لنحضور على نسخ إضافية .
وسيرتفع عذف سحر السحرة الواحدة بالطبع ومن
يدري " ربما نكشف عذف ان رقم المائة مليون كان
شديد التواضع ، بالنسبة لأرباح الحقيقية ، التي
يمكن تحقيقها مع الوقت .

احتقر وجه الكولونيل مرة أخرى ، وصرب سطح
المائدة بقبضته ، هاتفا :

- مستحيل يا (سواتر) ' مستحيل ' مشروع
(انسوبرمان) سيضرب يسدج تحت قائمة السرية
المطقة . مهم كان اتعن . هل تفهم " مهم كان
الثمن .

تنهد (سواتر) في حرارة ، وتبادل نظرة سريعة
مع (كادى) ، قبل ان يقول في شيء من الأسف
- يا للخسارة ' كنت اتصور انك ستشاركنا أرباح

هذه النعبة يا كولونيل (الكسندر) يا للخسارة '
اتسعت عين الكولونيل ، وتراجع في حركة حادة ،

وهو يقول في اضطراب :

- ... يعني يا (سواتر) هه ماذا تعنى "

ارتسمت على شففى (سواتر) ابتسامة مخيفة ،
وهو يقول :

- فى مثل هذا الموقف ، لا يمكن للمرء الا ان يعنى
شيئا واحداً يا عزيزى الكولونيل .

اتسعت عينا (الكسندر) بسمدة ، وتراجع أكثر ،
حتى ارتطم بالمائدة ، ونم يكذب يفعل حتى شعر بفوهة
مسدس باردة تلتصق بمؤخرة عنقه ، وسمع صوت
(كادى) الخشن ، يقول في شيء من الجذر

- أهذا ما تقصده يا (سواتر) ؟

أوماً (سواتر) براسه ايديا ، وقال دون ان يرفع
عينيه عن عين الكولونيل :

- للأسف يا عزيزى (كادى) .

انطلقت من حلق الكولونيل شهقة مذعورة ، ودار
حول نفسه في سرعة ، ويده تقفز لالتقاط مسدسه
من حزامه ، و ...

وانطلقت رصاصة (كادى) بسرعة أكبر

وانتهى الأمر في لحظات معدودة ..

وفي هدوء شديد ، غمغم (سواتر) ، وهو يمسح
بأصابعه قطرات الدم ، التي تناثرت على وجهه وشبيه .

مع تحطم جمجمة الكولونيل :

- يا للخسارة ! لن تفيدك الملايين بالفعل في
الجحيم يا كولونيل .

قلها ، ثم انفجر فجأة بضحك على نحو هستيرى ..
ويضحك .

ويضحك .

★ ★ ★

عندما قفز (كوادروس) ورفقه خلف الصخرة
الكبيرة ، التي يختفى عندها (أدهم) ورفيقه ،
وأطلقوا نيران مدافعهم الآلية في غزارة ، لم تكن
لديهم نرة واحدة من الشك في أنهم سيحصدونها
حصداً ، ولن يتركوهما إلا جثتين هامدتين ، لا يمكن
تعرف ملامحهما ، من كثرة ما اخترقهما من
رصاصات .

(أندروفيتش) نفسه لم يكن لديه أدنى شك في
هذا ، حتى إنه لم يكد يسمع دوى الرصاصات ، حتى
هتف في حماس :

- إلى الجحيم .. إلى الجحيم يا (أدهم) .. إلى
الج .

بتر عبارته بغثة ، مع الدهشة التي ارتسمت على
وجه (كوادروس) ورفقه ، وهم يحدقون فيما خلف
الصخرة ، فوثب من الهلوكوبتر ، واندفع نحوهم ،
هاتفاً :

- ماذا حدث ؟

أشار (كوادروس) إلى ما خلف الصخرة ، وهو
يقول :

- يا للشيطان !.. هل رأيت هذا أيها القائد ؟!

قطع (أندروفيتش) المسافة التي تفصله عن
(كوادروس) بقفزة واحدة ، واتخذ حاجباه في توتر
بالغ ، وهو يهتف :

- اللعة !

فخلف تلك الصخرة الضخمة ، وبزاوية تصعب
ملاحظتها في الظروف العادية ، كانت هناك فتحة
متوسطة لأحد الكهوف الجبلية ..

فتحة لا تكاد تكفى لعبور رجل واحد ..

وارتسمت الصورة بسرعة في ذهن (أندروفيتش) ،
ورأى بعين الخيال (أدهم) وهو يقفز خلف الصخرة ،
حاملًا زميلته (جيهان) ، ثم يكشف وجود تلك

الفتحة ، فيدفع جسد زميته داخلها ، ثم يلحق بها ،
ويحتفيان معاً في أعماق ذلك الكهف الجبلى ، قبل أن
يصر (كوالروس) ورجله إلى الصخرة .
وبكل العصب التائر في أعماقه ، على الرغم من
هدوئه الخارجى ، اتذر (أندروفيتش) إلى فتحة
الكهف ، وهو يقول لأحد رجاله :

- أطلق النار داخل الكهف

اندفع الرجز دون تفكير ، نحو مدخل الكهف ،
ودفع فيه قوه مدفعه إلى ، وراح يطلق النار في
عرارة ، فى حين اتعد حاجب (أندروفيتش) فى شدة ،
وهو يرهف السمع لدوى الضلقت داخل الكهف
كس من الواضح أن الكهف أكثر اتساعاً من
الداخل ، مع يوحى به مدخله الصغير ، بدليل ذلك
الصدى الذى يتردد داخله لدوى الرصاصات .

وفى مكان كهذا ، ومع رجل متل (أدهم صبرى) ،
تصبح المضردة امراً محفوف بالخطر ..

خطرت الفكرة بباليه ، فى نفس اللحظة التى قال

فيها (كوالروس) فى حماس :

- هل نحقق به دخر الكهف أيها القائد^{١٥}



فيدفع جسد زميته داخلها ، ثم يلحق بها ، ويحتفيان معاً
فى أعماق ذلك الكهف الجبلى ..

التفت إليه الروسى فى بظء ، وقال فى صرامة :
- لا بأس يا (كوادروس) .. لو أنكم تتعجلون
الصعود إلى السماء .

ارتفع حاجبا (كوادروس) فى دهشة مستكرة ،
وهو يهتف :

- ما الذى يعنيه هذا أيها القائد ؟

أجابه (أندروفيتش) بنفس الصرامة :

- يعنى أن رجلاً مثل (أدهم صبرى) ، يمكنه أن
يطحن رءوسكم جميعاً ، لو اتحتم له فرصة القتال فى
مكان كهذا .

قال (كوادروس) معترضاً :

- ولكنه مجرد رجل واحد أيها القائد ، وغير مسلح ،
ويحمل جثة زميلته ، ونحن أكثر من ...

قاطعه (أندروفيتش) :

- لو أن الأمور تقاس بالكثرة العددية ، لما تمكن
أسد واحد من تفريق قطيع كامل من القروء ، بزمجرة
واحدة .

نطع إليه (كوادروس) بدهشة أكثر ، وغمغم :

- يقولون إن الكثرة تهزم الشجاعة أيها القائد .

أجابه (أندروفيتش) بهجة تحمل رنة ساخرة .

- ليس فى حالة الأسد والقروء .

مط (كوادروس) شففيه ، واتعقد حاجباه فى
تفكير عميق ، محاولاً الربط بين هذا الموقف ، وقصة
الأسد والقروء ، فى حين رفع الروسى عينيه ،
يفحص الجدار الصخرى كله ، قبل أن يقول :

- قل لى يا (كوادروس) . هل تعتقد أن لهذا

الكهف مخرج آخر ؟

هز (كوادروس) كتفيه ، وأجاب :

- كلا .. لست أعتقد هذا . معظم الكهوف الجبلية

ذات مدخل واحد .

ارتسمت ابتسامة باهتة على شففى (أندروفيتش) ،

وهو يغمغم :

- عظيم .

خيل لـ (كوادروس) أنه قد فهم ما يقصده قائده ،

فقال فى حماس :

- آه .. إذن فئت تنوى أن تفعل به ما نفعله مع

الشعاب ، لنجبرها على مغادرة وكرها أيها القائد .

ثم مال نحوه ، مستطرداً فى تخايل مبتذل :

- ستشعل النيران عند مدخل الكهف ، وتركهم
يختفان بالدخان .. أليس كذلك ؟!

رمقه (أندروفيتش) بنظرة صارمة ، وهو يقول :
- كلا يا (كوادروس) ليس كذلك !

تراجع (كوادروس) بحركة حادة ، قائلا :

- ماذا ؟! ما الذي ستفعله إذن أيها القائد ؟

أجبه (أندروفيتش) بنفس الصرامة الباردة :

- إجراء سريع يا رجل .

وانتظ من حزامه قبلة يدوية . جذب فتيلها ،
مصيفا

- وحاسم .

ومع قوله ، ألقى القبلة نحو مدخل الكهف ،

وصاح (كوادروس) في رفاقه :

- ابتعدوا يا رجال .

اتطلق الجميع مستعدين ، ومن خلفهم دوى هذا

الانفجار الجديد ..

انفجر نسف الصخور ، عند مدخل الكهف .

وحصلت تنهار لتسده تمام بضدان منها ، على نحو

حذف هذا المدخل من الخريطة الجيولوجية
للمنطقة (*) .

والى الأبد ..

ثم تختلف تصورات (أندروفيتش) كثيرا عما حدث
بالفعل ..

لقد فوجئ (أدهم) بوجود تلك الفتحة خلف
الصخرة ، فدفع جسد (جيهان) داخلها ، ولحق بها ،
قبل وصول (كوادروس) ورفاقه ، وعاد يحمل
(جيهان) ، ويعدو بها ، عبر المنطقة ، التي يتسمل
إليها الضوء من الكهف ..

ومن خلفه ، دوت رصاصات المدفع الآلى ، وتردد
صداها داخل الكهف فى عصف ، فمال (أدهم)
بحمله ، حتى ارتطم بجدار الكهف ، والتصق به فى

(*) { الجيولوجيا - علم الارض ، ويشمل دراسة اصل الارض
وتاريخ تطورها وحياتها ، والاحداث التي مرت بها ، وطبيعتها
الكيميائية والفيزيائية ، وكذلك دراسة مكانها ، وتطور الحياة فيها .
منذ اول تسجيل لتسويها ، وحتى العصر الحديث ، والجيولوجيا
تشمل علوم كثيرة ، من علم الارض وعلم الطبقات وعلم
الحفريات ، والحيونوجيا لاكسارية وغيرها

قوة ، في محاولة لتفادي الرصاصات العشوائية ،
التي تنطلق في كل مكان ..

كانت أطراف الصخور الحادة تولم ظهره ، وتنغرس
فيه بلا رحمة ، إلا أنه لم يتحرك قيد أنملة ، حتى
توقف دوى الرصاصات ، ونقل إليه مدخل الكهف
صوت حديث غير واضح ، بين (أندروفيتش)
ورجاله ..

كان مرهقا بشدة ، ويشعر بتوتر بالغ ، مع موقف
(جيهان) ، والظلام الدامس المحيط به . والذي
عجز معه عن رؤية يده نفسها ..

وبطرف قدمه ، راح يتحسس طبيعة الأرض أمامه ،
ويتحرك في حذر ، حاملا زميلته ، التي بدت أنفاسها
قصيرة ممتورة ، وكأنها تلفظ آخرها بين نراعيه

لم تكن الأرض ممهدة بطبيعة الحال ، وكانت هناك
رائحة رطوبية قوية ، تنبعث من كل ما حوله ،
ممتزجة برائحة عطنة ، وكأنما ماتت عشرات النباتات
داخل الكهف ..

ويا له من موقف ! ..

التراجع ليس مأمونا ، في وجود (أندروفيتش)

ورجاله المسلحين ، والتقدم أمر محفوف بالخطر ،
مادام لا يرى طريقه ، أو يعرف ما قد ينتهي به
مساره ، و ...

وفجأة ، دوى ذلك الانفجار ..

دوى في عنف ، وتردد صداه داخل الكهف في
قوة . كدت تتسلف أذنيه ، وانطلقت موجة تضاعفية
قوية ، دفعت (أدهم) أمامها لمترين كاملين ، قبل أن
يسقط أرضا ، وهو يدور حول نفسه ، ليتلقى الصدمة
بظهره ، حاميا جسده (جيهان) ..

ومع ارتطام ظهره بالأرض ، ارتفع هدير الصخور ،
التي انهارت لتسد مدخل الكهف ، وتحجب آخر مصدر
للضوء والهواء ..

ولدقيقة كاملة ، تواصل انهيار الصخور ،
وتصاعدت الأتربة في غزارة داخل الكهف ، حتى إنه
كتم أنفاسه ، ووضع يده على أنف (جيهان) ،
ليمنعها من استنشاق تلك الأتربة ..

وعلى الرغم من هذا ، راحت (جيهان) تسعل في
ضعف ، وتناثرت قطرات الدم من بين شفثيها
الشاحبتين ، ف شعر هو بها على وجهه ، وتمتم في أسى :

- معذرة يا زميلتي العزيزة انني ابذل قصارى جهدي ، ولكن ..

لم يستطع اتمام عبرته ، مع شعوره بالاسى والالم ، ورفع عينيه محاولا التطلع إلى ما حوله ، ولكن الظلمة المحيطة به كانت قد تضاعفت عشرات المرات ، دون ادنى بصيص من الضوء ، حتى لقد بدت أشبه بظلمة القبور أو أشد ظلمة ..

وفي بظاء ، نهض (أدهم) ، حاملاً (جيهان) ، وضغط :

- يا له من موقف يا (أدهم) ! ههنا داخل قبر مغلق ، لا يمكنك ان ترى فيه ما يبعد عن عينك ستيمترا واحدا ، وليس أمامك مخرج واحد منه ، وزميلتك تلفظ أنفاسها الأخيرة بين ذراعيك يا له من موقف !

وتحرك في حذر ، متحسنت طريقه في صعوبة ، وهو يتابع :

- المشككة أنك لا تدري حتى أين أنت ، ولا ما الذي يتبغى أن تفعله في هذا القبر . بل ولا تعرف

حتى إلى أين تتجه ، ولا

بتر حديثه بغتة ، وهو يعقد حاجبيه في شدة ، ويرهف سمعه في توتر بالغ ..

هناك شيء ما يتحرك داخل المكان شيء ما ، يزحف في قلب الظلمة على بعد عشرة أمتار .. وإلى اليسار ..

هذا كل ما رصدته أذناه الحساستان ، التان ازدادت حساسيتهما مع الإظلام التام حوله (*) وكل ما يكفي لإثارة توتره وعصبيته وانطلق عقله يبحث عن تفسير لتلك الحركة ، في قلب الظلام ..

إنها ليست زحفاً مستمراً .. أو حتى حركة منتظمة ..

(*) حقيقة علمية ، فعندما يفقد الإنسان إحدى حواسه الخمس ، البصر ، أو السمع ، أو اللمس ، أو الكلام ، بصفة دائمة أو مؤقتة ، تتضاعف قدرة الحواس الأخرى تلقائياً ، بحيث يمكنه الاستعاضة بها عن الحاسة أو الحواس المفقودة

إنها تحركات مترددة ، حنرة ، لحيوان أو كائن ما ،
يسير على قائمين ..

كائن يمكنه السير منتصباً ..
كالدب مثلاً (*) ..

حبس (أدهم) أنفاسه ، وهو يراجع معلوماته عن
الديببة ، ويعود للاتصاق بجدار الكهف .
ومرة أخرى ، تحرك ذلك الشيء ..

وفي اتجاهه مباشرة ..

وفي هذه المرة ، أيقن (أدهم) أن هذا الشيء
ليس ديباً ..

لقد تحرك بإيقاع منتظم ، يختلف كثيراً عن إيقاع
حركة حيوان ضخم مثل الدب ..
ومآزال يتحرك نحوه ، و ...

وفجأة ، سعلت (جيهان) في تهالك ..

ومع سعالها ، توقف ذلك الشيء عن الحركة بفتة ..

(*) الدب . حيوان ثديي ، من الفصيلة الدببة ، رتبة اللواحم ،
يمتوطن نصف الكرة الشمالي ، الغرو سميك أشعث ، والذيل قصير ،
وبعض الدببة سريع العدو ، وبعضها يستطيع تسلق الأشجار ، تأكل
الثمر والحشرات والأسماك والجيف ، وقليلاً ما تأكل لحوم الثدييات

لقد شعر بوجودهما ، كما شعر هو بوجوده .

وتضاعف التوتر الموقف أكثر وأكثر ..

وران على المكان صمت رهيب ..

ثقيل ..

مخيف .

صمت طال لدقائق خمس ، بدت في ظلمة المكان

كدهر كامل ..

ونم يرقى هذا الموقف لـ (أدهم) .

لم يرق له أبداً ..

إنه لن يقف صامتاً هكذا إلى الأبد ..

لا بد أن يحطم حاجز الصمت ..

والخوف ..

لذا فقد تحرك في بطء وحنر ..

ومع تحركه ، نددت من ذلك الشيء حركة عصبية ،

قبل أن يندفع نحوه في حدة ، وكأنما اتخذ قراره

بالانقضاض عليه أخيراً ..

وبسرعة ، مال (أدهم) جانباً ، وكأنما يتفادى

شبحاً خفياً ، وتحرك في توتر زائد ، محاولاً تحديد

موضع ذلك الشيء ، و ..

وفجأة ، ارتطم به في عنف ..

ومع الارتطام ، تبعثت صيحة مكتومة من ذلك
الشيء ..

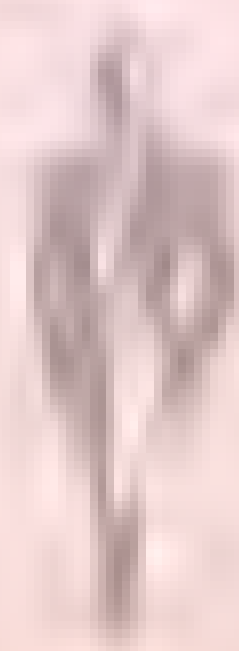
وتعرف (أدهم) طبيعته على الفور

وكانت مفاجأة

مدجاة حقيقية .

ومدهشة

★ ★ ★



٩ - بلا أمل ..

جرت أصابع البروفيسير (دى مال) على ازرار
الكمبيوتر ، في معمله الخاص ، دخر منشأة السنيورا
النووية ، وراحت المعادلات تتراص أمامه على
الشاشة ، استعداداً لإنتاج أول قنبلة نووية ، في
مشروع السيطرة العالمي الجديد ، بعد أن اكتمل
فريق العمل ، بوصول البروفيسير (بولاسكى) ،
وتابعها هو ببصره بضع دقائق ، قبل أن تتوقف
أصابعه عن العمل بفترة ، ويغمغم في ضيق :
- خطأ ..

ثم تراجع عن الكمبيوتر ، مكرراً بصوت كالصراخ :
- خطأ .. خطأ ..

وهب من مقعده في حركة حادة ، وراح يدور في
المعمل كأسد حبيس ، وهو يتابع في ثورة شديدة .
- لا يمكننى أن أشرك في عمل كهذا مستحيل !
مستحيل !.. ليس أنا ..

وانطلقت من حنقه صرخة هائلة ، تكرر :

- ليس أنا .

كان من الواضح أن الرجل على وشك الإصابة
بانهيار عصبي حاد ، وأنه لم يعد يحتمل الاستمرار
في عمل يرفضه ، لذا فقد اندفع نحو جهاز الكمبيوتر
مرة أخرى ، وراح ينتزع أسلاك وحدة تخزين
المعلومات ، قائلاً :

- لا ليس (دى مال) ، الذى يسهم فى إذلال
العالم ، وإخضاعه لسيطرة شيطانية كهذه .. لقد
ناضلت كثيراً فى سبيل الحرية ، حتى إننى رأيت
يوماً لجنة الحريات فى (باريس) ، وقائمت لمنع
انتشار الأسلحة النووية ، فكيف يأتى يوم أكون فيه
أحد أطراف مؤامرة ، لإعادة العالم إلى عصر
الاستبداد والعبودية ؟! كيف ؟!

وتأملت عينه بهريق ثائر ، وهو يتابع :

- لا فلتقتلنى السنيورا لو أرادت ، ولكنها لن
تجبرنى على خيانة وطنى ومبادئى قط .

قائلاً ، وهو يرفع وحدة تخزين المعلومات عالياً ،
ويهم بتحطيمها فى عنف ، و ...

« من قال إن السنيورا تنوى قتلك بـ بروفيسير ؟! »

اتبعث صوتها الأنثوى بغثة فى المكان ، على نحو
جعل جسده كله ينتفض فى قوة ، من قمة رأسه ،
وحتى أخمص قدميه ، فاحتضن وحدة تخزين
المعلومات ، وهو يقفز مذعوراً ، ويهتف :

- رباه !.. السنيورا ؟!

أتاه صوتها الصارم ، يقول :

- نعم .. السنيورا يا (دى مال) السنيورا التى
وصفتها منذ لحظات بأنها شيطانية

اتكمش (دى مال) على نفسه لحظة فى زعر ، ثم
لم يثبت أن استعاد غضبه وذعره دفعة واحدة ،
فهتف ، وهو يتلفت حوله ، بحثاً عن مصدر الصوت :
- نعم . أنت شيطانية شيطانية مريدة ، حتى ولو
أغضبك هذا .

انطلقت منها ضحكة مجنونة ، ردت جدران
المعمل صداها ، حتى بات من المستحيل تحديد
مصدرها ، قبل أن تقول ، فى شيء من الجذل :

- يفضبنى ؟! ومن أخبرك أن تشبهى بالشيطان
يُفضبنى يا عزيزى ؟ إننى على العكس ، أجد أننا
متشبهان فى أمور شتى .. فكلانا يبهرق بما تعجز
عن مقاومته .

ومع احر حروف كلماتها ، انفتح باب عمله وبدأت
 هي على عتبته في زى اتيق ، يكتشف عن استدارة
 كتفيها وجمال ساقها ، على نحو اشبه بفتنة مجسمة ،
 وخاصة مع تلك الانتسامة الساحرة على سفتيها
 الجميلتين ، والبريق الاحاذ في عينيها الواسعتين ..
 وشوان ، حذق (دى مال) فيها في انهار ، إلا
 انه لم يثبت ان استعاد السيطرة على مشاعره ، وقال
 في عصبية :

- لو تصورت انه يمكنك اغرائى ، فسوف

قطعتة ، وهى تتقدم داخل المعمل بحفة :

- اعراوك " حظ يا (دى مال) انسى ثم
 احاول حتى أن أفعل .

وحسبت في نعومة على احد المقعد ، وتطلعت
 إليه بعينيها الساحرتين ، متابعة :

- ليس لانى اخشى ان افشل فى هذا ، ولكن لانى
 اعم ان اغراءك ليس الوسيلة الصحيحة للسيطرة عليك .
 بهت لكلماتها ، فتطلع إليها لحظة فى صمت ، على
 نحو جعلها تتابع ، وهى تشغل سيجارتها فى بطاء .

- التحريبات التى جمعها عنك ، اثبتت أنك رجل

قوى ، لا تخضع لنزوات الجسد ، او لشهوة المال
 ثم نفثت دخان سيجارتها فى وجهه ، وأطلقت
 ضحكة عابثة ، قبل أن تتابع :

- ولكن هذا لا يعنى أنك رجل بلا نقاط ضعف كل
 شخص فى الدنيا له نقاط ضعف ، وأنا أجيد البحث
 عنها فى كل من أتعامل معه ، حتى يمكننى العزف
 على أوتاره بالنغمة المناسبة ..

وصمتت لحظة أخرى ، لتسحب نفساً من سيجارتها ،
 على نحو جعله يتصور أنها تسحب هواء الحجرة كله
 معها ، فسعل بحركة لا إرادية ، وهى تواصل .

- (استروتيسكى) مثلاً يشعر بالإهمال والتجاهل ،
 منذ هجرته إلى (إسرائيل) ، لذا فقد منحته هنا
 شعوراً بالأهمية ، وأسندت إليه رئاسة فريق العمل ،
 و (جولهى) يعبد المال ، بحكم نشأته اليهودية ،
 وعبيد المال من أسهل الأشخاص ، الذين يمكنك
 السيطرة عليهم ، أما (بولانسكى) ، فحبه للنساء
 ولهفته عليهن ، جعلنى أضمن ولاءه منذ اللحظة
 الأولى ، دون أدنى تعب أو مجهود

وتطلعت إليه مباشرة ، مستطردة :

٢٠٤ - نعم يتبق أمامي إذن سواك يا (دى مال)

أشار إليها (دى مال) ، قائلا فى عصبية :

- أنت قتلتها بنفسك يا سنيورا . لن يمكنك إخضاعى

هاى من تلك الوسائل الثلاث ، فلن يغرينى المال ، أو

تبهرنى النساء ، ولست من محبى السيطرة والسطوة .

ابتسمت على نحو لم يرق له - وهى تقول :

- ولكننى مضطرة لإيجاد وسيلة جيدة ، للسيطرة

عليك ، والا فشل مشروعى كله . وأنت تعلم أننى

غير مستعدة لخسارة كل هذا . بل إننى أبغض

الخسارة بكل صورها .

شد (دى مال) قامته ، وهو يقول فى حزم :

- حاولى تقبليها هذه المرة يا سنيورا ، فقد اتخذت

قرارى بعدم المشاركة فى هذا العمل البغيض ، حتى

ولو دفعت حياتى ثمنا لهذا .

رفعت احد حاجبيها ، قائلا فى شىء من السخرية :

- وماذا عن حياة الآخرين ؟

انفقد حاحاه فى شدة ، وسرى فى جسده توتر

لا محدود ، وهو يقول :

- ماذا تعنين ؟

أطلقت ضحكة طويلة ، احتقن لها وجهه فى شدة ،

قبل أن تنهض من مقعدها ، وتنقى سيجارتها على

الأرض ، وتسحقها بقدمها ، قائلا :

- لقد أخبرتك أننى لست مستعدة للفشل والخسارة ،

مهما كان الثمن .

اندفع نحوها ، وأمسك ذراعها فى عصبية ، صائحا :

- ماذا تعنين بقولك هذا ؟

استدارت إليه السنيورا بحركة سريعة ، وقبل أن

يدرك ما تفعله ، وجد معصمه يلتوى ، وذراعه تدور

خلف ظهره ، ثم شعر بجسده كله يرتفع ، ثم بهوى

لتضرب رأسه الأرض فى عنف ، فأوه بقوة ، ولكن

جذبة قاسية كتمت تأوهاتة ، وجعلته يحدق فى وجه

السنيورا بعينين زائفتين ، وعقل يدور فى جمجمته

كالرحى ، وبدأ له صوتها صارما قاسيا ، يخرق أذنيه

بلا رحمة ، وهى تقول :

- إياك أن تفعلها مرة أخرى يا (دى مال) . إياك

أن تتصور أننى مجرد أنثى ضعيفة ، يمكنك أن

تضربها أو تسىء معاملتها ، لمجرد أنك رجل .. إياك

لأنك بذراعك فى ضعف وأثم ، وهو يتمتم :

- لم يخطر هذا ببالي قط . فقط سألتك ماذا كنت
تعنين بعبارتك !

مالت نحوه أكثر . حتى شعر بأنفاسها على وجهه ،
وهي تقول .

- هل تريد أن تعرف ما كنت أعنيه بعبارتي ؟
حسن يا (دى مال) .. الذى كنت أعنيه هو أنك أيضا
مجرد شخص عادى ، له نقاط ضعف كغيره من البشر ..
ربما لا تكون نقطة ضعفك هي المال ، أو السلطة ،
أو النساء ، ولكنها موجودة ..

وتأملت عيناها بهريق وحشى ، مع صوتها المخيف ،
وهي تقترب من عينيه أكثر ، وتقول :
- (برجيت) .

اتسعت عيناها فى ارتياح شديد ، فتراجعت فى
هدوء ، وتابعت :

- أبتك (برجيت) .

ارتجفت شفاه ، وهو يتمتم :

- كيف .. كيف عرفت ؟

نهضت واقفة ، وانطلقت من أعماق أعماقها ضحكة
مجنحة صاخبة ، تموج بالظفر والزهو ، وهي تتنقط
سجارة أخرى ، وتشعلها ، قائلة :

- أنت تشعر بالدهشة اليس كذلك ؟ قليلون هم
من يعلمون بأمر أبتك غير الشرعية ، ذات السبعة
عشر ربيعا ..

كاد صوته يبكى ، وهو يقول :

- أرجوك . اتركى (برجيت) لا شأن لها بهذا
دعها وشأنها .

أطلقت ضحكة أخرى ساخرة عالية ، ونواحت
بكلها ، قائلة :

- هذا يتوقف عليك يا بروفسير .

قذتها ، وغادرت المكان فى هدوء عجيب ، وهو
يتابعها بنظرات زالفة ، وأنفاس مبهورة ، حتى
أغلق الباب خلفها ، فتدفقت الدموع من عينيه ،
وهو يقول منهارا :

- (برجيت) لا شأن لها بكل ما يحدث !

وفى استسلام ذليل ، نهض يحمل وحدة تخزين
المعنومات ، ويعود بها إلى مسدة الكمبيوتر ، وأعاد
توصيلها فى إحكام ، ثم جنس يواصل معادلاته
وعمله ، والدموع تغرق وجهه كنه
دموع المرارة ..
والاستسلام ..

★ ★ ★

فى نفس اللحظة ، التى ارتطم فيها (أدهم) بهذا
 الشيء ، تحرك جسده فى سرعة وتزامن مذهشين
 كان يحمل (جيهان) على ذراعيه ، لذا فقد
 تحركت قدماه فى تتابع رائع ، فوثبت الأولى تدفع ذلك
 الشيء بعيداً ، ثم قفزت الثانية تركله فى قوة ، و ..
 وانطلقت صرخة فى قلب الكهف ..
 صرخة تجمع بين الألم والذعر .
 صرخة بشرية ..
 وفى دهشة حقيقية ، هتف (أدهم) :
 - من أنت ؟!

نطقها بالعربية ، ثم انتبه إلى أن ذلك الشخص
 العجيب ، فى قلب الكهف المظلم ، لن يمكنه حتماً
 فهمها ، فكررها بالبرتغالية فى صرامة ، ولم يكف
 بفعل ، حتى أتاه صوت مضطرب مذعور . يقول :
 - أ .. أنا (بترو) .. أنت بشرى ؟!
 اتفقد حاجباً (أدهم) ، وهو يقول .
 - بالطبع يا رجل .. من أنت بالضبط ؟!

مضت لحظة من الصمت ، سمع (أدهم) بعدها
 صوت عود ثقاب ، يحنك بجانب علبته ، ثم اتبع

بصيص من الضوء بفتة داخل المكان ، ليكشف زنجياً
 ضخم الجثة ، غليظ الملامح ، حدق فى (أدهم)
 لحظة ، قبل أن يقول فى ارتياح -
 - رياه أ .. أنت حقاً بشرى .

التهمت النيران عود الثقاب بسرعة ، والرجل
 يحدق فى وجه (أدهم) ، وفى (جيهان) ، حتى
 لمعت النيران سبابته ، فأطلق صرخة مكتومة ،
 وسقط عود الثقاب من يده ، فعاد الظلام بسود
 المكان ، و (أدهم) يكرر سؤاله فى صرامة .
 - من أنت يا (بترو) ؟ وماذا تفعل هنا ؟!

أجاب الزنجى ، وهو يشعل عود ثقاب آخر .
 - أنا سابق مجرد سائق فى شركة للبناء ، كانت
 تفكر فى تمهيد (كوهيدو ، بيليجرو) وإضاءته ،
 ولكن العصفه فاجأتني هنا ، ولم أستطع العودة ،
 وخاصة بعد تلك الإهيارات الصخرية ، التى سدّت
 الطريق .

سأله (أدهم) :
 - إذن فأنت صاحب ذلك الحفار .. أليس كذلك ؟!
 أوما (بترو) برأسه فى توتر ، قبل أن يجيب .

- بنى يا سنيور التحفار ملئت للشركة . ولكنى
أقوده منذ ثلاث سنوات ، و ...

قاطعه (أدهم) فى صوت حاسم :

- معذرة يا (بترو) . ولكن ليس لدينا وقت الآن
لسماع قصة حياتك احبرنى أولاً أهناك مخرج
آخر لهذا الكهف .

سد الظلام مرة أخرى ، عندما انطلقاً عود الثقب
الجديد ، و (بترو) يجيب :

- لست أرى .

هتف (أدهم) مستكراً :

- لست تدري ؟ ما الذى وضعت داخله انى ؟
ارتجف صوت الزنجى فى الظلام ، وهو يغمغم .
- الخوف .

لم يكن الجواب يتناسب قط مع ضخامة الرحى
وقسوة ملامحه ..

إلا أن هذا لم يدهش (أدهم) ..

عنه الطويل ، وخبراته اللانهائية ، جعلته يدرك
جدا أنه لا علاقة مطلقاً ، بين الحجم والقوة
أو بين الحجم والشجاعة ..



ثم سعى شخص من ضوء بعته داخل مكان ، ليكشف رعي
صاحبه حته . غيبط الملامح ، حذق فى ا أدهم . عضة

لذا فقد تجاهل جواب الزنجي ، وهو يقول في توتر :
- فليكن المهم أن نغثر على مخرج من هذا القبر
بأسرع ما يمكن ، فرميتي تحتاج إلى إسعاف عاجل .
غمغم (بترو) في دهشة :
- زميلتك ؟

ثم أشعل عود ثقب آخر ، وانحنى على ضوئه ،
يلقي نظرة على وجه (جيهان) ، وهتف :
- أي إسعاف يا رجل إنها ميتة تقريبا .
انعقد حاجبا (أدهم) ، وهو يقول في صرامة :
- ولكنها لم تمت بعد .

ثم التفت عليه الثقب من يد (بترو) ، وهو يدفع
إليه (جيهان) ، قائلا :
- لذا فاحرص على حملها كالأحياء :
أسرع (بترو) بحمل (جيهان) في حرص ، وهو
يقول :

- كما تأمر يا سنيور .

استغر (أدهم) عود ثقب جديدا ، وتأمل المكان
على ضوئه الخافت ، ثم قال في قلق حقيقي :
- يبدو أنه كهف مطلق بحق ، فلست أرى أية
فتحات حولنا ، باستثناء تلك التي أغلقها الانفجار

قال (بترو) في خوف :

- يمكننا أن نزيح الصخور عنها .

هز (أدهم) رأسه نفيا ، وقال :

- هذا سيستغرق وقتا كبيرا ، ثم إننا لا ندرى
ما الذي ينتظرنا خلفها .

تردد (بترو) لحظة ، ثم قال في حذر :

- أتقصد هؤلاء الرجال ، أصحاب الهيوكوبتر .

سأله (أدهم) :

- أه . أهم سبب خوفك ، واختباتك في هذا الكهف ؟

صمت (بترو) قليلا ، قبل أن يجيب :

- لقد أخافني أسلوبهم بالتأكيد ، ولكن عملي في

شركات البناء والحفر جعلني أعاد أصوات الانفجارات ،

أما دوى الرصاصات ، فهو أمر مألوف حيث أقيم .

سأله (أدهم) ، وهو يشعل عود ثقب آخر ،

ويواصل بحثه عن مخرج :

- عجباً ..! ما الذي أخافك إذن ؟

تردد (بترو) لعابه في صوت مسموع ، ثم أجاب

في صوت خافت ، وكأنما يخشى أن يسمعه أحد :

- الوطنيون .

التفت إليه (أدهم) ، قبلًا في دهشة :

- أي وطنيين ؟!

أجابه الرجل في توتر شديد :

- سكان الأدغال الأصليون .

سأله (أدهم) ، وهو يشعل عود ثقاب آخر ،

ويواصل البحث :

- عجباً ! ألم ينقرض هؤلاء القوم ، أو يندمجوا

في الحياة المدنية الحديثة بعد ؟!

أجابه (بئرو) بسرعة :

- نيس في هذه المنطقة يا سنيور . إنها أشد

منطق الأدغال وحشة ووعورة ، والجبال مع

(كوهيدو ، بيليجرو) يمنعان المدنية من بلوغها ،

وسكنتها الأصليون ما زالوا يحتفظون بعاداتهم

وتقاليدهم البدائية القديمة ، وبوحشيتهم أيضاً ، فهم

عدوانيون ، شرسون ، لا يتقبلون الغرباء أبداً ،

والمصير الوحيد لكر من يقع في قبضتهم هو الموت .

الموت وحده ، وطريقهم في القضاء على خصومهم

بتسعة ، مخيفة ، و

قذرة (أدهم) بهتاف مفاجئ :

- (بئرو) انظر الى ذبابة عود الثقاب

أدار الزنجر عينيه في سرعة الى النهب المتراقص

على عود الثقاب ، والذي يذبل تدريجياً ، ويكاد يبلغ

سبابة (أدهم) وإبنه ..

ولكنه لم يفهم ما يعنيه (أدهم) بهتفه هذا .

لم يفهم أبداً ..

« هل تعتقد أننا قضينا عليهما بالفعل ايها

القائد ؟! »

ألقي (كوادروس) سؤاله في اهتمام بالغ ، وهو

يعود مع الجميع إلى الهيوكوبتر ، فتوقف

(أندروفيتش) عن مواصلة السير ، والتفت إليه ،

يسأله في صرامة :

- ماذا تعني يا رجل ؟!

هرش (كوادروس) رأسه ، قائلاً :

- أعني أننا لا نعرف شيئاً عن اعمق ذلك الكهف ،

وربما ..

قبل أن يكمل عبارته ، أشار إليه (أندروفيتش)

في حزم ، قائلاً :

- كفى .

وانعقد حاجباه في شدة لبعض الوقت ، قبل أن يستعيد بروده وصرامته ، وهو يشير إلى الرجال ، قائلاً :

- لن نرحل الآن .

سأله (كواروس) في اهتمام :

- ماذا سنفعل أيها القائد ؟

أشار (أندروفيتش) إلى الصخرة الكبيرة ، قائلاً :

- سنرفع الصخور المنهارة ، عند مدخل الكهف .

هتف أحد الرجال في دهشة بالغة :

- ماذا ؟

أجابه (أندروفيتش) في صرامة :

- كما سمعت يا رجل .. سنرفع الصخور التي

صنعها قنبلتنا .

اتجه الرجال في تهرم إلى مدخل الكهف ، وراحوا

يرفعون الصخور في سخط ، فمال (كواروس) على

(أندروفيتش) ، قائلاً :

- رفع الصخور كلها سيستغرق وقتاً طويلاً أيها

القائد .

أجابه (أندروفيتش) ، وهو يتابع عمل الرجال في اهتمام :

- لسنا نحتاج إلى رفع الصخور كلها .

تطّلع إليه (كواروس) في حيرة ، وتنهّد في عمق ، قبل أن يقول :

- ليتى أفهم ما تفكر فيه أيها القائد .

لمح شبح ابتسامة على شفتي (أندروفيتش) ، وهو يقول :

- ستحتاج إلى ألف قرن يا (كواروس) .

انعقد حاجبا (كواروس) ، وهو يهرش رأسه في

حيرة ، ويبذل قصارى جهده ، محاولاً الفهم ، ثم لم

يلبث أن طرح فكرة الفهم هذه جاتياً ، وسأل :

- إذن فأنت تحتاج مدخلاً صغيراً إلى الكهف فحسب .

أجابه (أندروفيتش) في برود :

- بالضبط .

أترك (كواروس) عدم جدوى الحديث مع

الروسي ، فأطلق شفّتيه في ضيق ، ووقف يتابع عمل

الرجال بدورهم ، حتى هتف أحدهم :

- هناك مدخل إلى الكهف .

تَأَلَّقَتْ عَيْنَا (أَنْدْرِوفِيَّتْش) ، وَهُوَ يَتَجَّهُ إِلَى الْمَدْخَلِ .
قَالَا :

- عَظِيم .

كَانَ الرَّجُلُ قَدْ أَزَانُوا قَدْرًا ضَخِيمًا مِنَ الصَّخُورِ ،
صَنَعَ فُجُوءَ نِصْفِ قَطْرِهَا عَشْرَةَ سَنْتِمِطَرَاتٍ فَحَسَبَ ،
وَلَكِنْ (أَنْدْرِوفِيَّتْش) تَطْلُعُ إِلَيْهَا ، قَالَا

- عَظِيم .. إِنِّهَا تَكْفَى .

سَأَلَهُ (كَوَادْرُوس) :

- تَكْفَى لِمَاذَا ؟

أَجَابَهُ (أَنْدْرِوفِيَّتْش) فِي صِرَامَةٍ :

- سَتَرَى .

ثُمَّ عَدَّ إِلَى الْهَلِيُوكُوْبِتَرِ ، وَالتَّقَطَ مِنْهَا صَنْدُوقًا
صَغِيرًا ، فَتَحَهُ أَمَامَ (كَوَادْرُوس) ، وَالتَّقَطَ مِنْهُ
قَتَبِلَتَيْنِ مِنْ نَوْعٍ خَصٍ ، وَالتَّقَطَ الْمَدْفَعُ الْآلِي مِنْ يَدِ
أَحَدِ الرَّجَالِ ، فَسَأَلَهُ (كَوَادْرُوس) فِي اهْتِمَامٍ ، وَهُوَ
يَنْطَلِعُ إِلَى الْقَتَبِلَتَيْنِ :

- مَاذَا سَتَفْعَلُ بِهِمَا بِالضَبْطِ ؟

أَجَابَهُ (أَنْدْرِوفِيَّتْش) ، وَهُوَ يَدْفَعُ قَضِيْبًا رَفِيعًا ،
يَعْتَدُ مِنْ أَحَدَى الْقَتَبِلَتَيْنِ ، دَاخِلَ فُوهَةِ الْمَدْفَعِ الْآلِيِّ :

- إِنِّهَا قَتَابِلُ مِنْ طَرَاثٍ حَاصٍ بِرَجُلٍ ، يَمْرُكُزُ شَتِيرُ
تَفْجِيرِهَا دَاخِلَ ذَلِكَ الْقَضِيْبِ الرَّفِيعِ ، وَالْوَسِيْنَةُ الْوَحِيدَةُ
لِإِطْلَاقِهِ هِيَ رِصَاصَةٌ مِنَ الْمَدْفَعِ ، تَضْرِبُ قَضِيْبَ
التَّفْجِيرِ ، فَتَنْطَلِقُ الْقَتَبِلَةُ لِمَسَافَةٍ كَبِيرَةٍ ، وَتَنْفَجِرُ
بِطَاقَةٍ تَفُوقُ طَاقَةَ الْقَتَبِلَةِ الْيَدَوِيَّةِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ عَلَى
الْأَقْلِ .

هَتَفَ (كَوَادْرُوس) مَبْهُورًا :

- إِلَى هَذَا الْحَدِّ ؟

أَمْسَكَ (أَنْدْرِوفِيَّتْش) الْمَدْفَعُ الْآلِيَّ فِي حِزْمٍ ، قَالَا :

- هُنَّ تَرْغَبُ فِي مَشَاهِدَةِ تَجْرِبَةٍ عَمَلِيَّةٍ ،

أَجَابَهُ فِي حِمَاسٍ :

- بِالتَّأَكُّدِ ..

تَأَلَّقَتْ عَيْنَا الرَّوْسِيِّ ، وَهُوَ يَقُولُ :

- فَنِيَكُنْ يَا (كَوَادْرُوس) سَتَرَى مَا يَبْهَتُ

لَمْ يَكُنْ يَتَمَّ عِبْرَتَهُ ، حَتَّى ارْتَفَعَ صَوْتُ صَارِمٍ ،

يَقُولُ :

- أَيْدِيَكُمْ إِلَى أَعْلَى أَيِّهَا السَّادَةِ .

اسْتَدَارَ (أَنْدْرِوفِيَّتْش) فِي سُرْعَةٍ إِلَى مَصْدَرِ

الصَّوْتِ ، وَوَقَعَ بِصَرِهِ عَلَى الْمَفْتَشِ (بِأَنْدْرِيس) ،

مع فريق من رجال الشرطة ، يصوبون إليه وإلى
رجاله مدافعهم الآلية ، والمفتش يتابع بنفس
الصرامة :

- أعتقد أن لديكم أجوبة للعديد من تساؤلاتنا ،
و ...

قبل أن يتم عبارته ، أدار (أندروفيتش) فوهة
مدفعه الآلى نحوه ، وهتف :
- اذهب إلى الجحيم .

ومع الحرف الأول من عبارته ، ضغط زنار المدفع
الآلى ..
وانطلقت القنبلة ..

وقبل أن تكتمل العبارة ، كانت تتفجر وسط
(باترياس) ورجاله ..

وفى نفس لحظة انفجارها ، صرخ (أندروفيتش)
فى رجاله :
- أطلقوا النار .

وتحول المكان فى لحظة واحدة إلى ساحة قتال ..
(باترياس) ، الذى نجا من الانفجار ، مع ثلاثة
من رجاله ، راحوا يطلقون رصاصاتهم نحو

(أندروفيتش) ورجاله ، الذين انطلقت رصاصات
مدافعهم الآلية كالمنطر .

وفى سرعة ينهبها العضب ، التقط الروسى القنبلة
الثانية ، وهو يعدو نحو مدخل الكهف ، هبها .
- لن أخسر المعركة الآن .. مهما كان الثمن .

واحتسى بالصخرة الضخمة ، وهو يثبت القنبلة فى
فوهة المدفع الآلى ، ويقول :
- فى هذه المرة سنتذهب إلى الجحيم حتمًا يا (أدهم
صبرى) .

ودفع القنبلة مع فوهة المدفع الآلى ، عبر الفجوة ،
وضغط الزناد ، هاتفا :
- وبلا رحمة .

وانطلقت القنبلة إلى أعماق الكهف ..
وارتطمت بجداره ، و ..
وانفجرت ..

ومع انفجارها الهائل ، تحول الكهف إلى قطعة من
الجحيم ..

جحيم لا يمكن أن يحيا فى أعماقه بشرى واحد
لا يمكن أبدًا .

★ ★ ★

١٠ - الجسيم ..

دقت الساعة معننة تمام التالية ظهرا بتوقيت (القاهرة) (*) ، وبدأت دقاتها أشبه بقرع الطبول ، في أذان رجال المخابرات المصرية ، الذين التفوا حول مسدة الاجتماعات ، في أحد مباني جهاز المخابرات ، منذ أكثر من خمس ساعات ، متصنة ، يتابعون الموقف في نقاط عديدة من العالم ، وبدأ الإرهاق واضحاً على وجه أحدهم ، وهو يمنع نفسه من التثاؤب في صعوبة ، مغمقاً .

- ما زال الموقف عصيباً للغاية يا سيدى المدير ، ولم تصلنا أية أخبار من سيادة العميد (ادم) ، أو الرائد (جيهان) ، منذ بدأت اجتماع هذا ، ولا يمكننا اتخاذ أية قرارات ، قبل الحصول على معلومات جديدة .

(*) التوقيت في (القاهرة) يسبق التوقيت في كل من دمشق ، أمريك الشمالية ، و (امريك الجنوبية) بسبع ساعات كاملة .

قل مدير المخابرات ، وهو يشير إلى خريطة كبيرة
لـ (البرازيل) :

- آخر ما وصفتنا من أخبار عن (ن - ١) ، هو انه وزميلته قد نجحا في استعادة البروفيسير (مانهيم) ، بعد صراع عنيف مع رجال السنيورا ، واتجها به الى ممر (بينجيرو) هذا ، في محاولة لتفريق من (ريودى جتيرو) ، وبنوغ (برازيليا) حيث يقع مكتبنا

قال أحد الرجال في توتر

- ومن الواضح ان العاصفة قد حاصرتهم داخل الممر .

أوما المدير برأسه موافقاً ، وهو يقول

- بالضبط . وهي عاصفة عاتية ، لم تشهد تلك المنطقة مثلاً منذ قرن كمر ، ولقد أعلنت حالة الطوارئ القصوى في كل المدن الساحلية ، وبالدات (ريودى جاتيرو) ، حيث بلغت العاصفة ذروتها وعندما طرحنا الأمر على خبراء الأرصاد الجوية عندنا ، افتوا بأن سرعة الرياح داخل ممر صيق ، مثل ممر (بينجيرو) ، قد تبلغ أكثر من ألف

وخمسمائة كيلومتر في الساعة . عند أعلى منحني العاصفة ، وهذه سرعة هائلة ، لا يمكن أن يصمد أمامها بشئ ، مهما بلغت قوته ، لأكثر من عشرين دقيقة .

تبادل الرجال نظرة شديدة التوتر ، قبل أن يقول أحدهم في قلق :

- سيدي هل يعنى هذا الكلام أن سيادة العميد (أدهم) ، قد ...

قاطعه المدير في حزم :

- هذا الكلام لا يعنى شيئاً يا رجل .. تذكر ما تعلمته ، عند التحاقك بجهاز المخابرات .. نحن لا نتعامل إلا مع الحقائق المجردة ، دون انفعالات أو تفاؤلات . ومط شفتيه لحظة ، ثم تابع :

- الموقف الآن يحتمل كل الافتراضات . فقد ينجح (ن - ١) وزميلته في اختراق ممر (بينيجرو) ، على الرغم من عنف العاصفة ، ويواصلان رحلة فرارهم بالبروفيسير (ماتهيم) ، أو يفشلان في انتصدي نقوى الطبيعة . الاحتمالان واردان ، وليس أمامنا سوى دراسة كل منهما على حدة ، وعلى أية

حال ، لا شئ يمكننا فعله في الوقت الحالى ، سوى أن نمنح (ن - ١) فرصة مناسبة ، حتى يمكنه الاتصال بنا ، وإبلاغنا بما حدث من تطورات ، فربما يؤدي تدخلنا إلى إفساد الأمر كله .

قال (أدهم) :

- ولكن ماذا لو ...

لم يستطع إتمام سؤاله ، إلا أن الجميع فهموا ما يعنيه جيداً ، وخصوصاً المدير ، الذى أشار بيده ، قائلاً :

- حتى بافتراض أن (ن - ١) قدلقى مصرعه داخل الممر ، فهذا سيعنى أن زميلته والبروفيسير (ماتهيم) سيلقيان المصير نفسه على الأرجح . وهنا ستكون السنيورا قد فقدت خبير الهندسة النووية ، الذى تبحث عنه ، ولن يمكنها عندئذ إتمام مشروعها النووي .

طالع أحد الرجال آخر البرقيات ، الواردة من مختلف أنحاء العالم ، قبل أن يقول :

- معذرة يا سيادة المدير ، ولكن هناك خبر من (روسيا) ، قد يعنى الكثير ، وقد لا يعنى شيئاً على الإطلاق .

سأله المدير في اهتمام :

- وما هو ؟!

أجابه الرجل على الفور :

- حادثة اعدام مبدغة ، في معتقل (سيبيريا) ،

تم تصدير كل المستندات الخاصة بها الى القيادة في

(موسكو) ، بعد ساعة واحدة من وقوعها ، وهذه

هي المرة الأولى ، التي يتم فيها هذا الامر ، مع كل

الاهتمام البالغ ، فالمستندات ترسل في المعتقل ، بعد

اسبوعين او ثلاثة .

تراجع مدير المخابرات في مقعده . وهو يسأله

- وما الذي يمكن ان يعنيه هذا في رأيك ؟

قال الرجل ، وهو يراجع البرقية :

- قبل ان نحيط بهذا السؤال ، ينبغي ان نعرفوا اولاً

هوية الشخص ، الذي لقيت مستندات اعدامه كل هذا

الاهتمام .

واشار الى أوراقه . وهو يدير عييه في وجوههم .

مضيفاً في حزم :

- اسمه البروفيسير (ديوك بولاسكي) خبير

الهندسة النووية .

بدأت الدهشة على وجوه الجميع . وهتف احدهم

- ولكن البروفيسير (بولاسكي) في عداد الاموات

باتفاق ، منذ اكثر من ثلاثة اعوام ، طبقاً لبيانات

الروسية الرسمية .

اشار اليه المدير ، قائلاً :

- من الواضح ان ارجس ضحى . في معتقل

(سيبيريا) ، حتى ساعات قليلة ، وان وجوده على

قيد الحياة ظل سراً لسبب ما .

اندفع احد الرجال ، يقول في انفعال

- بل هناك ما هو اكثر خطورة ان يكون ارجس

حيّاً ، حتى هذه اللحظة .

بدأ الاهتمام على وجوه الجميع ، وانطلقت عقولهم

تدرس ذلك الاحتمال ، قبل ان يسأل آخر .

- هل تعتقد انه هناك صلاً ، بين هذه الواقعة ،

وخطة السنيورا النووية ؟!

هز صاحب الاقتراح كتفيه ، وقال :

- كل الامور توحي بهذا ، فالسنيورا تحتاج ،

وبشدة ، تحبير في الهندسة النووية ، من طراز

خاص للنوعية ، وطبقاً لمعلومات ، لا يوجد في العالم

كله سوى ثلاثة علماء ، يمكن أن تنطبق عليهم كل المواصفات ، التي تحتاج السنيورا إليها الدكتور (محمد العفيفي) في (مصر) ، والبروفيسير (مارك مانهام) في (ألمانيا) والبروفيسير (ديوك بولانسكي) في (روسيا) ، وطبقاً للأوراق الرسمية ، كنا نعتبر الأخير في عداد الأموات ، ونضفي حمايتنا على الأول ، لذا فقد ركزنا اهتمامنا كله على الأوسط ، وعندما يفاجئنا تقرير عاجل من (سيبيريا) ، يشير إلى إعدام (بولانسكي) ، دون أية أسباب معلنة ، أو مبررات منطقية ، ويحرص القائمون على المعتقل على تأكيد هذا الأمر ، وزرعه في السجلات الرسمية بأسرع ما يمكن ، وعلى نحو يوحي بأنهم يريدون تأكيد الأمر ، وإخلاء مسئوليتهم عنه ، فمن الطبيعي أن يساورنا الشك في أن وراء الأكمة ما وراءها ، ومن الطبيعي أيضاً أن نتمادى في هذا الشك ، ونتصور أنه لم تحدث عملية إعدام حقيقية ، وإنما كانت مجرد محاولة لمحو اسم البروفيسير (ديوك بولانسكي) من كل الأوراق الرسمية .

سأله أحد زملائه بأنفاس لاهثة :

- ولماذا يفتنون هذا ؟!

أشار صاحب الاقتراح بسنابته ، مجيباً :
 - لأن السنيورا تحتاج إلى البروفيسير (بولانسكي) بشدة ، بعد أن عجزت عن الحصول على البروفيسير (مانهام) ، ولا تريد أن يعلم أحد بما فعلته ، حتى نظل نحارب في سبيل إنقاذ الأخير ، وننشغل عما يقممه لها الأول .

ران على المكان صمت مطبق ، بعد أن انتهى الرجل من شرح ما لديه ، وتبادل الجميع نظرات غاية في التوتر ، قبل أن يقطع المدير ذلك الصمت ، قائلاً :
 - افترض مخيف يا رجل ، ولكنه يحمل الكثير من المنطق ، على الرغم من غرابته ، وهذا يدفعنا حتماً لدراسته ، والسعي للحصول على ما يحسم أمره من معلومات .

ثم التفت إلى مساعده الأول ، متابعاً :
 - أهرق إلى عميتنا في (موسكو) ، واطلب منه السعي لجمع كل التفاصيل ، الخاصة بإعدام البروفيسير (بولانسكي) في (سيبيريا) ، واطلب من رجالنا في (البرازيل) التحرك فوراً ، لدعم (ن - ١) ، لو .

بتر عبارته لحظات ، قبل أن يتبع في توتر
محدوظ .

- لو أنه ما زال على قيد الحياة

هبطت العبارة ثقينة على قلوبهم ومشاعرهم ، إلا
أن التدريبات العيفة ، التي تلقوها ، من الناحيتين ،
البدنية والنفسية ، جعلتهم يتجاوزون انفعالاتهم في
سرعة ، ويقول أحدهم في حرم .

- لو اكدت معلوماتنا ان البروفيسير (بولاسكى)
لم يعدم بالفعل في (سيبيريا) ، فسيغنى هذا ان
السنيور كان لديها الكثير من الوقت ، لاستقدامه إلى
وكره . لو أنها في مكان ما من (امريكا الجنوبية)
كما نتوقع ، وربما يعنى ايضا ان مخططاتها النووى قد
بدأ بالفعل

انعقد صاحب المدير في شدة ، وهو يقول .

- ويعنى ان نواجه كارثة ايها السادة .. كارثة بلا
حدود .

ومرة اخرى ، عند انصمت يغث المكان ، وعادت
العيون تتبادر نظرات صامتة ، تحوى ما هو أبغ من
الكلام

وفى هذه المرة ، كان انصمت طويلا
وثقيلا
للغاية .

ثوان ، حذق (بتر) في عود الثقب ، دون ان
يفهم ما الذى ينبغى أن يدركه . لذا فقد غصم في
حيرة واضحة .

- ماذا يعود الثقب ؟! إنه مشتعل ، مثل أى عود
ثقاب آخر .

أجابه (أدوم) فى حماس

- ولكن شعنته الصغيرة تراقص

عند (بتر) يحدق فى عود الثقب ، الذى انطفأ
فجأة ، فهرش رأسه وسط الظلام ، وسأل بحيرة أكثر :
- وما الذى يعنيه هذا ؟

أشعل (أدوم) عود ثقاب آخر فى سرعة ، وهو
يحيب :

- يعنى أنه هناك تيار من الهواء ، يودى إلى
تراقص الشعنة . تيار خفيف ، يأتى من هذا الاتجاه
بالتحديد

قَالَهَا ، مَشِيرًا إِلَى عَكْسِ الْإِتِّجَاهِ ، الَّذِي تَمِيلُ إِلَيْهِ
شُعْلَةُ عُودِ الثَّقَابِ ، ثُمَّ تَحْرُكُ نَحْوَ الْبُقْعَةِ الَّتِي أَشَارَ
إِلَيْهَا ، مُسْتَطَرِّدًا فِي حِمَاسٍ أَكْثَرَ :

- وَتِيَارُ الْهَوَاءِ لَا يَأْتِي إِلَّا مِنْ فَتْحَةٍ مَا .

لِهَيْثُ (بَتْرُو) مِنْ فَرْطِ الْإِنْفِعَالِ ، وَهُوَ يَهْتَفُ :

- هَلْ . هَلْ تَعْنِي أَنَّهُ هُنَاكَ مَخْرَجٌ مَا .

أَشْعَلَ (أَدَهْمُ) عُودَ ثِقَابٍ جَدِيدًا ، وَهُوَ يَفْحَصُ
الْمَكَانَ ، مُجِيبًا .

- بِالتَّأَكِيدِ .

ثُمَّ هَتَفَ فِي لَوْتِيَا ح :

- وَهَذَا هُوَ ذَا .

أَسْرَعَ إِلَيْهِ (بَتْرُو) ، حَامِلًا (جِيهَانَ) ، وَانْحَنَى
يَنْظُرُ إِلَى حَيْثُ يَشِيرُ (أَدَهْمُ) ، لِيَهْتَفَ بِدَوْرِهِ :

- أَهْ لَقَدْ رَأَيْتَهُ . إِنَّهُ مِمَرٌ شَبِهَ رَأْسِي ، رُبَّمَا
يَقُودُ إِلَى أَعْلَى الْجَبَلِ عَلَى الْأَرْجَحِ .

أَجَابَهُ (أَدَهْمُ) فِي حَزْمٍ :

- الْمَهْمُ أَنَّهُ يَقُودُ إِلَى فَتْحَةٍ مَا .

هَتَفَ (بَتْرُو) فِي سَعَادَةٍ :

- عَظِيمٍ . رَافِعٍ . حَمْدًا لِلَّهِ .. حَمْدًا لِلَّهِ . لَمْ

أَكُنْ أَتَصَوِّرُ أَبَدًا أَنْ ..

بَتْرُ عِبَارَتُهُ قَبْلَ أَنْ تَكْتَمَلَ ، وَاتَّسَعَتْ عَيْنَاهُ فِي
ذَعْرِ ، وَهُوَ يَهْتَفُ :

- رَبَاهُ !.. هَلْ تَسْمَعُ هَذَا يَا سَنِيُورُ ؟

أَرْهَفَ (أَدَهْمُ) سَمْعَهُ بِدَوْرِهِ ، وَقَالَ :

- بِالتَّأَكِيدِ .. إِنَّهُمْ يَرْفَعُونَ الصَّخُورَ عَنِ الْمَدْخَلِ
الْمَسْدُودِ .

سَأَلَهُ (بَتْرُو) مَرْتَعِدًا :

- هَلْ تَعْتَقِدُ أَنَّكُمْ تَفْسُ رِجَالِ الْعَصَابَةِ ، أَمْ أَنَّهَا

فَرَقَةٌ جَاءَتْ لِإِنْقَاذِنَا ؟

قَالَ (أَدَهْمُ) فِي حَزْمٍ :

- وَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ تَسْتَنْجِ فَرَقَةَ الْإِنْقَاذِ أَنَّنَا دَاخِلُ

الْكَهْفِ ؟! هَلْ كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ تَعْرِفَ أَنَّنَا دَاخِلُ مِمَرِ

الْخَطَرِ ؟!

صَمَتَ (بَتْرُو) لِحِظَاتٍ ، لِيُدِيرَ الْأَمْرَ فِي رَأْسِهِ ،

قَبْلَ أَنْ يَهْتَفَ مَذْعُورًا :

- رَبَاهُ !.. تَعَالِ نَبْتَغِدْ عَنْ هُنَا يَا سَنِيُورُ . تَعَالِ

نُفِرْ بِاللَّهِ عَلَيْكَ .

قَالَهَا ، وَهُوَ يَحْشُرُ نِصْفَهُ الْعُلُوى دَاخِلَ الْمَمَرِ شَبِهَ

الراسى ، فى ذعر واضح ، فجذبه (ادهم) من كتفه
فى قوة ، قائلا فى صرامة :

- رويدك يا رجل لا تجعل الخوف يفقدك عقلك
على هذا النحو .

صاح (بترو) :

- أريد النجاة بحياتى .

أجابه (ادهم) فى صرامة :

- وانا ايضا ، ولكن هذه ليست الوسيلة الصحيحة ..

لم تعلمت أيام الحدية قواعد التسلل ، عبر التجاويف
المحدودة ؟

- غمغم الرجل فى انبهار :

- كلا .. لم نخبرنا أحد عن هذا .

قال (ادهم) ، وهو يستعيد (جيهان) .

- تعلمها منى اذن عندما نغير تجويفا مجهولا ،

لا بد وان يبقى الاكثُر ضخامة فى الخلف ، حتى

لا يحتسب وسط التحويق ، ويسد الطريق أمام الآخرين ،

وهذا يعنى اننى ساعبر اولا مع زميلتى ، ثم .

قطعه (بترو) فى حدة واستكثار :

- زميلتك ؟ اما زلت تصر على بذل هذا الجهد

الصانع يا سنيور " زميلتك هذه لن تكتب لها
النجاة أبدا ، مهما فعلت من اجلها انها تحتضر
يا رجل ألا يمكنك ملاحظة هذا " انك تحمل جثة
تقريبًا .

أجابه (ادهم) فى غضب صارم :

- فليكن يا رجل ، ولكنى مصر على الاستمرار فى

حمل هذه الجثة ، ما دام فى جسدها عرق ينض

قال (بترو) فى عصبية :

- وإلى متى سيستمر هذا العرق فى النض ؟

أجابه (ادهم) فى حدة :

- إلى أن يشاء الله (سبحانه وتعالى)

لم يكذب يتم عبارته ، حتى ازاح احد رجال

(اندروفيتش) صخرة صغيرة ، صنع عباها فجوة ،

تسل عبرها بصيص من الضوء ، جعل (بترو)

يحبس أنفاسه ، وهو يقول :

- رباه . لقد صنعوا مدخلا لكهف يا سنيور

التقطت أذنا (ادهم) جزءا من حديث (اندروفيتش)

مع رجاله ، فقال فى حزم :

- هيا يا رجل .. دعنا نتملق هذا الممر .. أسرع .

قالها ، وبدأ يتسلق الممر بالفعل ، وهو يحمل
(جيهان) على كتفه ، وتصاعدت من جراحه وضلعه
المكسور ألآم مبرحة ، كادت تفقده الوعي ، لولا
إرادته الفولاذية ، التي دفعته إلى أعلى أكثر وأكثر ،
في حين لحق به (بترو) ، وهو يلهث من فرط
الانفعال ، ويقول في هلع :

- هل سيلحقون بنا يا سنيور ؟! هل سيحاولون
ال... ..

قبل أن يتم عبارته ، سمع الاثنان صوت لرنظام
القبلة بجدار الكهف ..
ثم دوى الانفجار ..

انفجار قوى عنيف ، انطلقت معه نيران رهيبه ،
غمرت الكهف كله ، ولفحت ظهر (بترو) ، الذي
أطلق صرخة ألم رهيبه ، ضاعت مع موجة
التضاغط ، التي أطاحت بكل الصخور الصغيرة ، عند
مدخل الكهف ، ودفعت جسد (بترو) المضخم أمامها ،
عبر الممر شبه الرأسى ، ليرتطم بـ (أدھم) ، ويدفعه
مع (جيهان) ثلاثة أمتار كاملة إلى أعلى ..
ثم تبعث أتربة كثيفة ، لتغمر المكان كله ..

وفي قوة وألم ، سعل (بترو) ، هاتفاً :
- لقد متنا .. متنا ..

أجابه (أدھم) ، وهو يسعل بدوره ، ويمزق جزءاً
آخر من قميصه ، ليحمى به أنف وفم (جيهان) من
الغبار الكثيف :

- كلاً يا رجل . الموت لم ينتزعنا بعد من عالم
الأحياء ، فالموتى لا يشعرون بتلك الآلام الرهيبة ،
التي نشعر بها .

وضع (بترو) يده على أنفه ، وهو يقول في
وعب :

- لا نتحدث عن الآلام يا سنيور ، فهالنسبة لى ، لم
أشعر فى حياتى كلها بمثل هذه الآلام . لقد احترق
ظهري تقريباً ، وكل عظمة بجسدى تصرخ معترضة
بأكية

راح (أدھم) يدفع جسده إلى أعلى مرة ثانية ،
وهو يسعل ، قائلاً :

- ولكننا ما زلنا على قيد الحياة . وهذا هو المهم .
بذل (بترو) جهده ليتبعه ، وهو يغمغم بصوت
كالبكاء :

- السؤال هو : إلى متى ؟!

أجابه (أدهم) في حزم :

- فنترت الجواب للخلق (عز وجل) يا رجل

صمت (بترو) لحظات ، ثم غمغم :

- صدقت ..

واصنوا صعودهم في بدء ، وراحت انفسهم تفصح

عن مدى ما يعذونه من ألم ، وما يبذلونه من جهد .

و .

وفجأة ، هتف (أدهم) :

- أعنقد أنت وصلنا إلى منطقة جديدة

هتف (بترو) في لهفة :

• - حقاً !!

وصاعف من سرعة تسلقه ، وسط ظلام دامس

رهيب ، حتى شعر بيده تستقر على أرضية مسطحة ،

فقال :

- رباه ! أنت على حق يا ستور يبدو أنه

كهف آخر .

قلبي . وهو يرفع جسده إلى ذلك المكان المنبسط ،

في حين اشعل (أدهم) أحد أعواد النقاب المتبقية ،



رح أدهم يدفع جسده إلى أعلى مرة ثانية

ليبعث شيئاً من الضوء فى المكان ..

ومع الضوء المنبعث ، اتسعت عينا (بترو) فى ارتياح ، ثم اتطنقت من حلقه صرخة رعب ..
فقد كان ما رآه داخل ذلك الكهف الجديد مخيفاً ..
للغاية ..

عندما دوى الانفجار فى الكهف ، لم يقتصر تأثيره على داخله فحسب ، وإنما امتد إلى خارجه أيضاً ..
وبصورة عنيفة ..

لقد اندفعت النيران القوية ، مع موجة التضاضط العنيفة ، نحو الصخور التى تسد مدخل الكهف ، وأطاحت بها بدوى قوى ، فى وجه رجال (أندروفيتش) ..

وربما كان هذا ما أنقذ حياة (أدهم) ورفيقه ..
فمع تفريغ الضغط عبر المدخل ، قلّ تأثيره على أجسادهم ، داخل الممر الرأسى ، واتكمش لسان السيران ، فلم يلتهمهم عن آخرهم .

أم فى الخارج ، فقد قلب الانفجار الموقف رأساً على عقب ..

صحيح أن رجل المخابرات الروسى السابق قد اتبطح أرضاً ، عقب إطلاق القنبلة ، فتفادى التأثير الخارجى العنيف لها ، إلا أن رجاله كلهم ، فيما عدا (كوالروس) و (بندريو) ، قد لقوا مصرعهم ، عندما ارتطمت بهم الصخور ، بكل عنف الانفجار ..

وعندما نهض الثلاثة ، كانت مسدسات ومدافع المفتش (باتدرياس) ورجالها مصوبة إليهم ، وهذا الأخير يقول فى صرامة :

- انتهى القتال أيها السادة . ألقوا أسلحتكم ، وارفعوا أيديكم فوق رؤوسكم .

أجابه (أندروفيتش) فى صرامة :

- حذار يا رجل الشرطة .. أنت لا تعرف إلى من تتحدث .

قال (باتدرياس) فى صخرية :

- إلى رجل خرق قانوننا ، وتصوّر أنه يستطيع العبث بأمننا وأرضنا ، وفعل ما يشاء بهما .. أليس كذلك ؟!

أجابه (أندروفيتش) :

- خطأ أيها المتحذق .. إننى صديق شخصى

لرئيس الشرطة هنا ، ولى صلات قوية بالحاكم ،
ورجال الـ ..

قاطع (باتدرياس) فى غضب :

- هل تهددنى ؟

اتعقد حاجب (أندروفيتش) ، وهو يجيب :

- يمكنك اعتبارى كذلك .

رمقه (باتدرياس) بنظرة غضبية ، قبل أن يقول
- فليكن . سأضيف إلى التهم الموجهة إليك .

تهمة تهديد رجل أمن ، فى أثناء مزاوئته لعمله

لم يكذب يتم عبارته ، حتى ظهرت تلك الهنيوكوبتر
بعثة ، من خلف الجدار الصخرى للممر

هليوكوبتر صغيرة ، من طراز يتسع لأربعة أشخاص
فحسب ، برزت فجأة ، وهبطت نحوهم فى سرعة ،
فنعقت بها أبصارهم جميعا ، وتمتم (باتدرياس) فى
قلبي :

- عجباً !.. هذه الهليوكوبتر ليست ..

ثم بتر عبارته بغثة ، صائحاً برجاله :

- احتموا بأى شيء ..

ومع آخر كمنته ، أو قبل أن يبلغ آخرها فعليا ،
انطلقت الرصاصات من مدفع الى صغير ، مثبت فى
جسم الهليوكوبتر ..

رصاصات اتحيت كلها نحو رجال الشرطة ، الذين
انطلقوا يعدون فى كل مكان ، فى محاولة للنجاة ،
قيم عدا (باتدرياس) ، الذى رفع مسدسه نحو
الهليوكوبتر ، وراح يطلق النار ، فانقضت عليه
الهليوكوبتر مباشرة ، وأطلقت نحوه رصاصاتها ،
لتطيح به فى عنف ، وتتزعه من مكانه ، ثم تضرب
به الجدار الصخرى ، قبل أن يسقط على أرضية الممر ،
وتتدفق الدماء منه فى غزارة ..

أما (أندروفيتش) ورجلاه ، فقد تراجعوا فى
البداية بحركة عنيفة ، ثم لم يلبثوا أن اتبهاوا الى أن
الهنيوكوبتر تهاجم رجال الشرطة وحدهم ، فالتعد
حاجبا (أندروفيتش) فى توتر ، وهو يغتم

- من قائد هذه الهنيوكوبتر بالصبط ؟ ملاكنا

الحارس ؟

ولم يطر تساؤله كثيرا ، فما إن انتهت الهليوكوبتر

من رجال الشرطة ، حتى هبطت على مقربة منهم .
وبرز منها شاب أسمر ، لوح بيده ، قائلاً :

- كيف حالك أيها الرفيق . هيا .. لا داعي لأن
تقبل يدى شاكرا . سأكتفى بكلمة امتنان بسيطة .
أزداد اعتقاد حاجبي (أندروفيتش) فى شدة ، فى
حين تهللت أسارير (كواندروس) ، وهو يهتف فى
سعادة :

- (لاماس) !! إنه (لاماس) . لقد نجونا .

فألها ، واندفع مع زميله إلى الهنيوكوبتر ، فى
حين سار (أندروفيتش) نحوها فى رصاة ، جعلت
(لاماس) يقول فى سخرية :

- لا داعي للحنقة أيها الرفيق ، فالفرق الذى
أبدناه من رجال الشرطة ، هو طبيعتهم فحسب ، إذ
إننى رصدت عشرات منهم يتجهون إلى هنا ، فى
أثناء قدومى بالهنيوكوبتر ، ولو واصلت السير بهذا
الوقار ، سيلحقون بنا حتماً ، قبل أن نفلح .

دلف (أندروفيتش) إلى الهليوكوبتر ، وهو يسأله
بنهجته الباردة ، التى أخفت الكثير من غضبه وتوتره :

- كيف أتيت إلى هنا ؟!

أفزع (لاماس) بالهنيوكوبتر ، وهو يحيب .

- إنها السنيورا . لقد ظنبت منى لهرع أيت ،
لأنك من أى مازق تقع فيه ، فقد كنت تخشى
أن تفشل فى القضاء على خصمك اللدود (آدم
صبرى) .

كظم (أندروفيتش) غيظه ، وانهيوكوبتر تسبق
بهم مبتعدة ، وقال فى لهجة صارمة قاسية :

- لقد انتهى أمر (آدم صبرى) .

هتف (لاماس) :

- حقاً :

كان الضيق والحسد ينفطران من كل حرف من
حروف الكلمة ، وكأما يحق أن ينهى الروسى العمل ،
قبل أن يبدأ هو عمله . مما جعل (آدم صبرى)
يضيف شامتاً :

- أنا (يورى أندروفيتش) قصيت على (آدم

صبرى) . أنا حطمت الاسطورة إلى الأبد .

اعتقد حاجبا (لاماس) فى ضيق ، وواصل الابتعاد

بانهنيوكوبتر عن ممر (بينيجرو) في حين حور
 (اندروفيتش) أن يسترخي في مقعده ، وهو يتم
 - نعم أنا قضيت على (أدهم صبرى) .
 وعلى الرغم من الثقة ، إلتى نطق بها الكلمة ،
 ومن أن كسر الظروف كانت توحى بأنه قد حقق
 استصاراً فعلياً ، إلا أن شيب ما في أعماقه كان يشعر
 بأن المعركة لم تنته ..

بعد ..

اتسعت عين (بترو) في رعب هائل ، وهو يحدق
 في تلك الأشياء ، داخل الكهف الجديد ، قبل أن يهتف
 بصوت مختلق :
 - إنها .. إنها مقبرة .

كانت حولهم بالفعل عشرات من جثث الموتى ، تم
 تحفيظها أو تحنيطها بوسيلة بدائية ، ووضعت مستندة
 إلى الجدران في وضع القرفصاء ، وقد ربطت سيقاتها
 إلى صدورها بأحبال بدائية الصنع ، واطيبت رءوسها
 بتيجان من الريش ، وإلى جوارها توجد بعض الاواني

التمزكشيه ، ذات الفوهات الواسعة .
 وغمغم (أدهم) :

- نعم من الواضح أنها مقبرة بدائية ، نخص
 بعض الشعوب ، التي عاشت في المنطقة قديماً
 انطفأ عود الثقاب ، عند نهاية حديثه ، فإطلق
 (بترو) شهقة قوية ، وهتف وهو يرتجف بشدة :
 - اشعل عوداً آخر يا سنيور أسرع بالله عليك
 اشعل (أدهم) عود الثقاب الحديد ، وهو يقول :
 - لم يتبق لنا سوى ستة أعواد ي رجل حاول أن
 تتعاسك ، وانفض عنك خوفك من الظلام .
 ارتجف صوت الزنجى أكثر ، وهو يقول .
 - ولكن .. ولكننا وسط جثث الموتى .
 أجابه (أدهم) في صرامة :

- اتهم أكثر أمن من الاحياء ، فهم لن يهاجموك أو
 يحاولوا قتلك على الأقل .
 ادرك (بترو) عينيه في جثث الموتى ، متممناً في
 رعب :
 - من أدراك ؟

تجده (أدهم) هذه المرة ، وهو يدير عينيه في المكان ، قائلاً :

- المهم أن وجود الجثث هنا يعني أنه هناك وسيلة لدخولها . فتحة ما ، أو ممر يقود إلى هنا .

والقى عود الثقاب ، ليشتعل آخر ، ويتابع :

- انظر إلى ترتيب وضع الجثث ، وسيتضح لك أن المخل لا بد وأن يكون حتماً في هذه البقعة ، التي تحنو منها

قائلها ، وهو يتجه نحو المكان الذي أشار إليه مباشرة ، بعد أن ألقاها (جيهان) أرضاً ، وراح ينحس الصخور ، قبل أن يقول في لهفة :

- رباه !.. كنت على حق .. ها هو ذا .

اندفع (بترو) نحوه ، هاتفاً :

- حقاً ؟!

كان يدفع نحو (أدهم) ، عندما اتسعت عيناه فجأة في ذعر ، وأطلق شهقة قوية ، ثم هوى جسمه بعنة إلى أسفل ، وهو يطلق صرخة رعب هائلة ..

وسوئية مذهشة ، بنغ (أدهم) موضعه ، والتقط

يده ، قبل أن يهوى داخل حفرة عميقة وسط المقبرة . وفي نفس اللحظة ، التي أمسك (أدهم) فيها يده ، انطفأ عود الثقاب ، وعاد الظلام يسود المكان كله وصرخ (بترو) في رعب :

- لا فائدة .. ساموت يا سنيور ساموت

كان الزنجي ضخماً ثقيلاً ، حتى إن جسده راح يجذب (أدهم) إلى الحفرة ، وهذا الأخير يقول في نوتز :

- تثبث بأي شيء يا رجل . ادفع قدميك في جدار الفجوة ، ولكن لا تستسلم للسقوط

رند (بترو) في قهيل :

- لا فائدة يا سنيور .. لا فائدة .

كان جسد (أدهم) ينزلق أكثر وأكثر نحو الفجوة ، مع ثقل وزن الزنجي ، وصرخ ضنعه المكسور بآلام رهيبة ، إلا أنه لم يفلت يد الرجل ، واما راح يهتف به .

- قاوم يا (بترو) .. قاوم يا رجل .

ولكن الزنجي كان قد اتهاز تماماً .

الخوف جعله يستسلم للموت ، وكأما يجد فيه الراحة من هذا العذاب المتصل ..

وفي مرارة ، تمتع :

- اتركني يا سنيور .. اتركني .

قله ، وحسده يجذب (ادهم) أكثر وأكثر الى
الحفرة العميقة . على نحو بدا معه أنه صادق تماما
فيما قاله ..

لا فائدة ..

لقد أصبح السقوط حتميا ..

ولم يعد هناك أمل في النجاة ..
أدنى أمل .



١١ - السقوط ..

نهت (كاندني) في شدة . وهو يجذب جثة
الكونونيل (ألكسندر) ، إلى الشرفة الخلفية لمنزل
هذا الأخير ، وقال في عصبية :

- أعتقد ان ما نفعله الان غريبة في الحماقة
يا (سواتر) لقد قتلنا أحد ضباط الجيش الكبار ،
وبدلا من أن نتخلص من جثته . في مكان معزول ،
نحترق بإعادتها إلى منزله ، في وضوح النهار

ابتسم (سواتر) في سخرية ، وراح يعالج رتاج
الشرفة الخلفية بخبرة لص سبق ، وهو يقول :

- أفضل شيء في الدني ، أن تفعل كل ما تريد فعله
في وضوح النهار . لا أحد يشك في أمرك ، في تلك
الساعة . ولن يتصور أحد أنك تقوم بعمل مخائف
تفقتون ، بهذه الجرأة وهذا الوضوح ، ثم إننا قد
تسللنا إلى المنزل من الخلف ، ولن يلحقنا أحد من
هذه الزاوية .

صدرت تكة خافتة من الرتاج ، فالتسعت ابتسامته

في فخر ، ودفع الباب بيده ، ثم دلف إلى المنزل ،
قائلاً :

- هيا .. أحضر الكولونيل .

نهت (كاندى) مرة أخرى ، وهو يجنب الجثة إلى
الداحل ، ولم يكذب يصل إلى الردهة ، حتى ألقاها
لوضاً ، وهو يقول في حدة :

- لماذا أحمل كل شيء وحدي دائماً .

هز (سواتر) كتفيه بلا مبالاة ، وقال :

- هذا أمر طبيعي ، فالأذى يفكر ، والأقل يكتفى
بالتنفيذ .

تمتم (كاندى) :

- حقاً ؟

ثم لم يثبت أن عقد حاجبيه ، قائلاً في حلق :

- ما الذى يعنيه قوتك هذا ؟ .. هه .. ما الذى
يعنيه ؟

استسم (سواتر) في سخرية ، مغففاً :

- لا عليك يا رجل . لا تهرق عقلك البسيط في
التفكير .

قائلاً ، وجذب طرف قفاز المطاطي ، مكملاً :

- والآن ، دعنا نقم بعملنا هنا .

راحا يفتشان المنزل في دقة واهتمام ، و (كاندى)
يسأله :

- ما الذى تبحث عنه بالضبط ؟

أجابته (سواتر) :

- أى شيء يمكن أن يقودنا ، لتلك التى يطلق
عليها اسم السنيورا .. أى شيء .. رقم هاتف .
عنوان .. بطاقة بريدية ..

سأله (كاندى) في حيرة :

- ولماذا ؟

التفت إليه (سواتر) ، قائلاً في سخرية :

- ماذا دهاك يا رجل ؟ أليست واحدة من
عملاتنا ؟ إنا لم نعتد عدم الوفاء بالتزاماتنا .. أليس
كذلك ؟

بدت عنى (كاندى) حيرة أكثر ، ولكنه غمغم :

- بالتأكيد يا (سواتر) .. بالتأكيد .

كان سيكتفى فعلياً بهذا القول ، إلا أن عقله عجز
- كالمعتاد - عن استيعاب الموقف كله ، فاعتدل ،
قائلاً :

- هل تعنى أنت ستصنع احدى نسخ مشروع
(السوبرمان) هذا من أجلها ؟
قلب (سواتر) كفيه ، قاللاً :
- بالتأكيد يا رجل إنها صاحبة الفكرة
هتف (كاتدى) مستكراً :
- مقابل سبعة ملايين فحسب .
ارتسمت على شفتى (سواتر) ابتسامة خيثة .
وهو يقول :
- التعمر مع الكبار يستحق التضحية يا رجل
ثم اعتدل ، مستطرداً :
- ولكن من الواضح أننا لن نعثّر على أى شيء
خاص بها هنا .
غمغم (كاتدى) :
- لو أنسى فى مكان (ألكسندر) هذا ، لاختفيت كل
ما يتعلق بـ " السنيورا " حتى لا يرتبط اسمى باسمها
قط .
واقفه (سواتر) بإيماءة من رأسه ، وقل :
- ست ترى كيف امكك التوصل إلى هذا ، ونكته
صحيح تماماً الكولونيل لن يضع أى شيء ، يخص

السنيورا فى تناول الأيدى .

غمغم (كاتدى) فى شيء من الارتباك
- إذن فنن يمكننا الاتصال بها أبداً اليس كذلك ؟
مط (سواتر) شفثيه فى ضيق ، قهلاً :
- بلى للأسف يا رجل .
لم يكذب يتم عبارته ، حتى ارتفع رنين الهاتف ،
فتألفت عينه ، واختطف سماعته فى لهفة ، ووضعها
على أذنه ، دون أن ينبس ببنت شفة ، وكاد قلبه
يرقص طرباً ، عندما سمع صوتاً أثوياً ناعماً ، يقول
فى شيء من الحزم :

- صباح الخير يا كولونيل أنا السنيورا
تألفت عينه أكثر وأكثر ، وهو يجيب :
- صباح الخير يا سنيورا .
مضت لحظة من الصمت ، قبل أن تقول فى صرامة
عصبية :

- من أنت ؟ وأين الكولونيل (ألكسندر) ؟
ارتسمت على شفثيه ابتسامة عابثة ، وهو يجيبها :
- الكولونيل (ألكسندر) شعر ببعض التعب ، فقرر
أن يخلد إلى الراحة الابدية ، أما أنا فـ (سواتر) .

صانع الأسلحة ، الذي يسعى لإنتاج مشروع
(السوبرمان) من أجلك ، والذي يتطلع في لهفة إلى
مقابلتك ، والتحدث إليك .

طال صمتها هذه المرة ، قبل أن تقول في صرامة :

- ما الذي تسعى إليه بالضبط يا (سواتر) ؟!

جلس على الأريكة المجاورة للهاتف ، ومذ قدميه
على المنضدة أمامه ، وهو يجيب :

- الواقع أنني سئمت التعامل معك ، من خلال
شخص متحذلق ، مثل الكولونيل (ألكسندر) ، لذا
فقد أزحتة عن الطريق ، حتى يمكننا التعامل مباشرة ،
وأنا واثق من أن هذا سيحقق فائدة أكثر لكتينا

كررت في صرامة أكثر :

- ما الذي تسعى إليه بالضبط ؟!

أشار إلى (كاندى) ، ليحضر علبة بيرة مثجعة ،

وهو يقول في حزم :

- عشرة ملايين يا سنيورا .

قالت في برود :

- مقابل ماذا ؟!

اعتدل ، مجيباً :

- مقابل النسخة التي تطيبينها ، من مشروع
(السوبرمان) .

صمتت لفترة أطول بكثير هذه المرة ، قبل أن
تسأله :

- متى يمكنك تسليمي النسخة المطلوبة ؟!

أدهشته موافقتها السريعة ، وجعلته يندم على
الرقم الذي ذكره ، وثبت في نفسه طمعا إضافيا ،
فقال في سرعة :

- هذا لا يتضمن تكلفة الإنتاج ، التي ستبلغ سبعة
ملايين أخرى .

قالت في صرامة :

- سألتك ، متى يمكنك تسليمي النسخة المطلوبة ؟!

ازدد لعابه ، مجيباً في شيء من التوتر ، لم يدر
سبه بالتحديد :

- بعد ثلاثة أيام فحسب

قالت في صرامة أكثر .

- يومين فقط يا (سواتر) .

غمغم :

- صنع شيء كهذا يحتاج إلى ...

قاطعته في صرامة مخيفة :

- يومين فقط .

تضاعف توتره ألف مرة . ووجد نفسه بعيد قدميه
الى الارض . ويعتدل في محنته في احترام ، وهو
يجيب في صوت مضطرب مبجوح :

- كما تأمرين يا سنيورا .

اتاد صرتها مفعم بانظر والتفة ، وهي تقول

- عظيم .. انتظر اتصالي بعد يومين .

سألها مرتبكا :

- ألا تحتجين الى معرفة رقم هاتفى على الأقل ؟

ارتجف جسده مع الضحكة الساخرة التى اضفقتها .

قبل أن تقول :

- هل ترغب انت في معرفة رقم هاتفك السرى . او

اسم عشيقتك البولندية الجديدة ؟!

قالتها . فانسعت عيناه عن احدهما ، وسرى في

عروقه توتر لا محدود ، في حين اطلقت هي ضحكة

ساخرة طويلة . قبل ان تنهى المحادثة ، وتتركه

يتصعب عرفا . في برودة تنوح انقطب الشمالى

وفى وكرها . وسط حبال (بوليفيا) . مطت

السنيورا سفتيها ، وهي تقول في سخريه

- ان فقدت حنوت سرقى يا كولونيل يا لك من

وعد حقير ' من الواضح ان لم تحبر الرجال بالرقم

الحقيقى . الذى ابتقت به انت تستحق انفس

بالفعل

ثم التفتت بفس عميق ، واضافت بتمسمة كبيرة

- انهم انت سنحصل على مشروع (السوبرمان)

في النهاية .

ونفضت من مقعدها . وشارت إلى احد رجليها .

قائلة :

- أريد اجتماعا هاتفيا خاصا .. الآن .

قال الرجل في حماس :

- بالتأكيد يا سنيورا .

واسرع امامها الى باب صغير ، وفتحته منحيب في

احترام . فظهر خفه ممر اتيق . مضاء بأضواء

خافتة . عبرته السنيورا في خطوات واسعة . حتى

بلغت بابا اخر . فاضارت الى الرجل . قائلة في

صرامة :

- تأكد من سرية الاجتماع .

أتحنى مرة أخرى ، قائلاً

- بالتأكيد يا سنيورا .. بالتأكيد .

فتحت الباب الثاني ، ودلفت منه إلى حجرة خفية ،
إلا من مقعد واحد في منتصفها ، أشبه بعرش ملكي ،
وأسرع الرجل يفتح الباب خلفها في إحكام ، ثم غادر
الممر كله ، وأغلق الباب الآخر ، ووقف يحرسه في
صرامة شديدة ..

أما هي ، فقد اعتلت ذلك العرش ، وضغطت على
زر خاص في مسنده الأيسر ، فارتفعت الجدران
الثلاثة المواجهة لها ، وظهرت عليها أربع شاشات
كبيرة ، أشبه بشاشات الكمبيوتر ، وابتسمت هي ،
مغممة :

- لابد أن نطمئن المساهمين على استثماراتهم .

وبضغطة زر أخرى ، أضيئت الشاشات الأربع ،
وظهرت عليها وجوه أربعة رجال ، تشف ملامحهم
عن أنهم لا ينتمون حتماً إلى جنسية واحدة ،
لذا فقد ضغطت السنيورا زرّاً خاصّاً بالترجمة
الفورية ، وهي تتطلع إليهم بابتسامة كبيرة ،
قائلة :

- صباح الخير أيها السادة .. اسمحوا لي بأن
أخبركم أن الأحوال قد استقرت هنا تمام ، وأمكننا
السيطرة على كل الأمور ، واكتمل فريق العمل ، وبدأ
تنفيذ مشروعنا التنويعي بالفعل .

وتألفت عيناها ، وهي تضيف في ثقة :

- ونجاح تام .

نطقها وعيناها تتألقان أكثر

وأكثر ..

وأكثر ..

لم يكن أمام (ألهم) سوى حل واحد ، في ذلك
الموقف العصير ، داخل المقبرة البدائية ..

أن يفت يد (بترو) ، ويتركه يهوى في الحفرة
العميقة ، قبل أن يجذبه إليها ، ويقضيان نحبهما معاً .
ولكنه لم يستطع مجرد التفكير في هذا الاحتمال .

لن يمكنه التخلي عن الرجل قط .

مهما كان الثمن ..

لن يسامح نفسه أبداً ، لو اشترى نجاته بحياة
الزنجي المعسكين المذعور ..

ولكن المشكلة أن الرجل يرفض التعاون ، مع
الانهيار الذي أصابه ..

ولا يوجد أى شيء يمكن التشبث به ..
والأم جراحه وضلعه المكسورة تتضاعف بسرعة ،
وتكاد تقتله من شدتها ..

وبكل غضبه وحنقه ، صرخ (أدهم) :
- كف عن تخاذلك السخيف هذا أيها الجندي ..
قاتل من أجل حياتك ، ولا تنهر بسرعة كالوغد
الأحمق .. هيا أيها الغبي .. تشبث بأى شيء ..
هيا .

انتفض جسد (بترو) ، وهتف :

- أنا لست غيباً .. لا تقل إنى كذلك .

صرخ فيه (أدهم) :

- بل أنت أغبي شخص رأيته ، فى الدنيا كلها ..
الغبي وحده من يترك نفسه يموت ، لمجرد أنه يخشى
الظلمة .

صرخ (بترو) بدوره :

- قلت لك إننى لست غيباً .. لست غيباً .

صرخ بالعبارة ، وهو يدفع قدميه فى جدار الفجوة ،

ويرتفع بجسده إلى أعلى ، فجذبه (أدهم) بكل قوته ،
وهو يقول :

- هذا أفضل .. أفضل كثيراً .

ألقي (بترو) جسده خارج الفجوة ، واستلقى
يلهث فى شدة ، فى حين وضع (أدهم) يده على
ضلعه المكسورة ، وهو يتمتم فى ألم :
- حمداً لله .. حمداً لله .

اعتدل (بترو) جالساً ، وهو يلهث كمن خرج على
الفور من سباق عنيف ، وتمتم :

- أين الثقب ؟!

ناولته (أدهم) علبة الثقب الصغيرة ، فأشعل أحد
أعوادها ، وتطلع إلى (أدهم) ، على ضوءه الخافت ،
متسائلاً :

- هل .. هل أصابك مكروه ؟

هز (أدهم) رأسه نفيماً ، وغمغم بابتسامة
باهتة :

- كلاً .. إنها ضلعي المكسورة فحسب .. يبدو
أن عملية جذبك خارج الفجوة لم ترق لها .

اتسعت عينا (بترو) فى ارتياح ، وهو يقول :

- ضلعك المكسورة ؟! هل جازفت بنفسك لإيقاظي ،
وفي صدرك ضلع مكسورة ؟!

تمتم (أدهم) :

- لا عليك .. لقد اعتدت هذا .

أطلقت نظرة تأثر وامتنان عميقة ، من عيني (بترو) ،
وهو يضمغم :

- لقد جازفت بحياتك من أجلى ، مع ضلع مكسورة .
انطفأ عود الثقاب عند هذا الحد ، فقال (أدهم) .
- مهلاً يا رجل .. احرص على أعواد الثقاب
المتبقية ، فلا بد أن نجد مخرجاً من هنا .

اشعل (بترو) عوداً آخر ، وهو يسأله :

- ولكنك وجدت المخرج بالفعل .. أليس كذلك ؟!

أوما (أدهم) برأسه إيجاباً ، وهو يشير إلى
المدخل ، قائلاً :

- ها هو ذا ، ولكنه مسدود بصخرة ضخمة للأسف ،

ولن يمكننا زحزحتها من مكانها ، في حالتنا هذه .

اتخذ حاجباً (بترو) لحظة ، ثم تاوله عود
الثقاب ، قائلاً في حزم :

- أمسك هذا .

التقط (أدهم) عود الثقاب في حرص ، ورأى على
ضوئه الخافت (بترو) ، وهو يتقدم في حزم نحو
الصخرة الضخمة ..

ثم انطفأ عود الثقاب ..

ووسط الظلام ، سمع (أدهم) (بترو) يتأوه ،
أو يصدر صوتاً مكتوماً ، يشف عن محاولته لرفع
الصخرة الضخمة ، فقال ، وهو يشعل عود ثقاب آخر :

- لا تحاول يا رجل .. إنها ..

بتر عبارته بقية ، واتسعت عيناه عن آخرهما ،
وهو يحدق في ذلك المشهد المذهل أمامه ..

كان (بترو) يحمل بالفعل تلك الصخرة الضخمة ،
التي يعجز أربعة رجال أشداء عن زحزحتها ، وقد
احتقن وجهه عن آخره ، وهو ينقلها بعيداً ، ثم يلتفت
إلى (أدهم) لاهثاً ، ويقول :

- لقد فرحتها .

تمتم (أدهم) مبهوراً :

- أهنئك .

ثم تحرك نحو للفجوة ، التي كشفت عنها الصخرة ،
ونق جدورها بقبضته ، قائلاً :

- أه .. هناك حاجز صغير ، وخلفه فراغ كبير ..
تري هل ..

قاطعه (بترو) :

- دعنا نختبر هذا .

وقبل أن ينطق كلمة إضافية ، كانت قبضته تضرب
الحاجز بكل قوتها ..
وتحطمه ..

ومع سقوط الحاجز ، اندفع ضوء مبهر ،
يفشى أبصارهما تمامًا ، فهتف (أدهم) في
ارتياح :
- أخيرًا .

استغرقت عيونهما ما يقرب من دقيقة كاملة ، قبل
أن تعتاد الضوء ، بعد تلك الفترة في قلب الظلام
الدامس ، فانتضحت لهما السماء الملبدة بالغيوم ، التي
تخلقت عن العاصفة ، وانتفض جسد (بترو) كله ،
من فرط الانفعال ، وتفجرت الدموع من عينيه ، وهو
يقول :

- حمدا لله .. حمدا لله .. لقد نجونا .

أسرع (أدهم) يحمل (جيهان) ، وهو يقول :

- كنت واثقا من هذا .. إبنى لا أفقد ثقتي في الله
(سبحانه وتعالى) قط .

عبر الفجوة الناشئة ، وهو يحمل (جيهان) ،
ولحق بهما (بترو) ، الذي لم يكد يجد نفسه
خارج الكهف ، حتى راح يقبل الأرض في لهفة ،
مكررا :

- حمدا لله .. حمدا لله ..

أما (أدهم) ، فقد أرقد (جيهان) على الصخور
العريضة في رفق ، وتحسس عنقها ومعصمها ، وهو
يقول :

- رباه !.. لقد انخفض نبضها بشدة ، حتى إبنى
أشعر به في صعوبة بالغة .. إنها تحتضر .. لابد أن
 نجد وسيلة لإسعافها ، قبل أن ..

بتر عبارته ، وهو يحدق في وجه (بترو) ، الذي
اتسعت عيناه في رعب هائل ، وهو ينظر إلى شيء
ما خلف ظهره ..

وبسرعة ، التفت (أدهم) إلى حيث ينظر (بترو) ،
ثم انعقد حاجباه في شدة ..

لقد كانت هناك عشرة رماح مصوبة إلى صدره ،

وخلفها عشرة من المقاتلين البدائيين ، الذين انطلقت
وجوههم بطلاء الحرب ..
إنهم سكان المنطقة الأصليون ، الذين لا يحملون
للدخلاء والغرباء سوى مصير واحد محتوم ..
الموت ..
وبلا رحمة ..

* * *

[انتهى الجزء الثانى بحمد الله]
ويليه الجزء الثالث
(بلا رحمة)